آيات الدعاء في القرآن الكريم

دعاء
محمد رسول الله ﷺ
خاتم الأنبياء والمرسلين

الدكتور

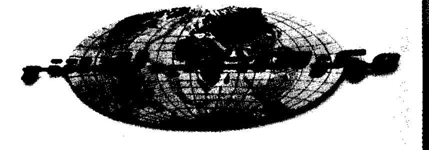
محمد محمود أحمد

الدكتور

موسى الخطيب

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى
١٩٩٩



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون : ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس : ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر : ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت : ٢٧٢٣٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾

[النجم : ٣، ٤]

صدق الله العظيم

وقال صلى الله عليه وسلم:

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

صدق رسول الله ﷺ



على سبيل التقديم

سبحانك اللهم لك الحمد كله، ولك الفضل كله، ولك الأمر كله، لا نحصى ثناءً عليك، أنت الأول وأنت الآخر، وأنت الظاهر وأنت الباطن، وأنت على كل شئ قدير وبكل شئ عليم.

حمداً لك اللهم أن هديتنا إلى توحيدك، فكنا فى المؤمنين من عبيدك، نرجو ثوابك ونخشى عقابك، ونبتغى إليك الوسيلة، ونسلك إلى هداك سبيله، ونرفع إليك أكف الضراعة بالدعاء فى كل وقت وحين، فلا تردنا يا رب خائبين، وأنت البّر الرحيم، وأنت أكرم الأكرمين.

ثم الصلاة أزكى الصلاة، والسلام أتم السلام على نبيك الأكرم. ورسولك الأعظم، ومصطفاك لإبلاغ الرسالة، وإخراج الناس من الضلالة، نبراس الحق، وإمام الخلق، سيد ولد آدم محمد ﷺ، جعل معجزته الكبرى القرآن الكريم، فأنزله بلسان عربى مبين تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة للمؤمنين، وشفاء لما فى الصدور بما اشتمل عليه من العقائد الصحيحة، والآداب العالية، والتعاليم الجامعة، كل ذلك بألفاظ عذبة، وتراكيب جليّة وأساليب جذابة.

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾[البقرة: ٢-٤].

يحدثنا التاريخ أن العالم قبل ظهور النبى محمد ﷺ قد غشيته سحابة كثيفة من الشِّرك والجهل والرذيلة والظلم، وحلّ المنكر محل المعروف، وقبض أهل الرذيلة على ناصية الأمم، واستولوا على مقاليد الأمور، وعمَّ الفساد أقطار الأرض، وسرى الموت بجميع ضروبه فيها، وأسدلت الظلمات أستارها؛ فعميت الأبصار، وزاغت البصائر.

يقول الأستاذ موير[1]: «إن النصرانية فى القرن السابع الميلادى قد أصبحت فاسدة مشوّهة».

ويقول جيبون: «إن النصرانية فى القرن السابع قد استحالت وثنية فقد أصبحت الوجوه تولى شطر الأصنام والأنصاب التى حلت محل الهياكل والمعابد».

ويؤكد هذا المعنى العلامة أبو الحسن الندوى[2] فيقول على لسان المؤرخ الغربى:

«لقد أطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً، وكانت همجية ذلك العهد أشد هولاً وأفظع من همجية العهد القديم لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفّنت، وقد انطمست معالم هذه الحضارة وبلغت أوجها فى الماضى، كإيطاليا وفرنسا، فريسة الدمار والفوضى والخراب.

وعلى الجملة فقد كان العالم متداعياً قد شارف النهاية: خلاصة ما يُقال فيه: إنه عالم فقد النظام كما فقد العقيدة.

بيزنطة قد خرجت من الدين إلى الجدل العقيم الذى أصبح بعد ذلك عَلماً عليها، وتضاءلت سطوتها فى البر والبحر حتى طمع فيها من كان يحتمى بحماها.

وفارس قد سخر فيها المجوس من دين المجوس، وكمنت حول عرشها كوامن الغيلة، وبواعث الفتن، ونوازع الشهوات.

والحبشة ضائعة بين الأوثان المستعارة من الحضارة تارة، وبين التوحيد الذى هو ضرب من عبادة الأوثان، ثم هى ليست بذات رسالة، ولا بذات طور من أطوار التاريخ، فليس لها عمل خالد فى سجل الأعمال الخالدات».

---

(١) كتاب «ترجمة محمد ﷺ».

(٢) كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للعلامة أبو الحسن الندوى، ص٣٥.

وما عسى أن نتحدث عن حال العرب قبل الإسلام، فحسبنا الإشارة عن حال الجاهلية إلى وثنيتها الطاغية مما قضى عليه الإسلام. حكى الزمخشرى أنه كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنماً، لكل قوم صنم بحيالهم.

وذكر ابن اسحاق أن أهل كل دار اتخذوا فى دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح بصنمه، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به، فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله وحده قالوا ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

وكان العرب موزعين بين حالة لا استقرار فيها، على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم لا وزن لهم ولا ثُقلاً، قد فشا فيهم الترف والطمع والخمر والقمار والمتعة وتسخير الأقوياء للضُعَفاء.. والفاقة والحسرة، والشك فى صلاح الأمور.. بل لم يبق فى العرب رجل واحد على دين الله الذى أرسل الله به إبراهيم وإسماعيل والأنبياء من قبل ومن بعد يعبد الله تعالى بما شرع، ويوحده فى عبادته، اللهم ما كان من زيد بن عمرو بن نفيل[1]. .اجتمع عليه أناس لإحياء عيد العُزَّى فقال لإخوانه: «والله ما قومكم على شئ وإنهم لفى ضلال.. فما حجر نطيف به لا يسمع ولايبصر ولا يضر ولا ينفع، ومن فوقه يجرى دم النحور.. يا قوم التمسوا لكم ديناً غير هذا الدين الذى أنتم عليه».. ثم تفرقوا فمنهم من تنصّر، ومنهم من اعتزل الأوثان، ومنهم من انتظر حتى سمع دعوة الإسلام فلبَّاها.. وكان الذى تنصَّر وسمع دعوة الإسلام ورقة بن نوفل الذى كُتب له أن يتلقى بشارة النبى العربى عند ظهوره ويُلقى إليه بالبشارة.

مع العلم أن اليهود كالنصارى قد فسد معتقدهم، وضاعت شريعتهم تحت تأثير التأويل للنصوص وتحريفها وتغييرها وتبديلها لتوافق الأهواء والأطماع

---

(١) وقد مات زيد قبل بعثة الرسول ﷺ، ومصداق هذا فى حديث مسلم قوله ﷺ: «ان الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» فهذا الحديث دليل واضح أن ما بعث النبى الخاتم محمد ﷺ وفى العرب رجل واحد على دين صحيح يعبد الله تعالى.

الخاصة والشهوات العارمة، فما أصبحت اليهودية ولا النصرانية تزكى النفوس ولا تصلح القلوب ولا تهذب الأخلاق بعد فسادها، فحاجة أهل الملتين إلى الإسلام كحاجة غيرهم من المجوس والوثنيين، وقد كان اليهود يستفتحون على مشركى العرب بقولهم إن نبياً قد أظلَّ زمانه، ويوم يظهر نؤمن به ونقاتلكم معه. نزل بقولهم هذا القرآن العظيم فى قوله تعالى: ﴿**وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة: ٨٩].

حال الناس هذه فى ضلالهم وعدم هدايتهم كانت مستوجبة للبعثة المحمدية متطلبة لها بل كانت حاجتها الملحة التى لابد منها.. وجاء محمد رسول الله ﷺ وحده بمفرده دون نصير ولا معين من البشر - فاستطاع أن يأتى بما عجزت عنه كل المحاولات والدعوات السابقة، وحقق فى سنوات معدودات معجزة أكبر انقلاب فى العالم حيث سما بأمة العرب فى جميع الميادين وأبرأها من أمراضها المتوطنة منذ قديم. واقتلع من عقلياتها وتفكيرها جذور الوثنية التى انحدرت بها إلى الحضيض، وذلك لأن علامة الكون وعلامة التاريخ كانت قد وضحت غاية الوضوح قبيل ظهوره عليه الصلاة والسلام.

قالت حوادث الكون: لقد كانت الدنيا فى حاجة إلى رسالة.

وقالت حقائق التاريخ: لقد كان محمد ﷺ هو صاحب تلك الرسالة.

ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ[1] النبى الأمى الذى انعقدت القلوب على محبته، وامتلأت الصدور بعظمته، وتعطّرت الألسن بذكره والحديث عنه ﷺ، قال اللّه تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾**﴾ [الجمعة: ٢-٤].

(١) عبقرية محمد، للعقاد، ص٣١.

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب[1] بن هاشم[2] بن عبد مناف[3] بن قصى[4] بن كلاب[5] (حكيم) بن مرة[6] بن كعب[7] بن لؤى بن غالب بن فهر[8] بن مالك[9] بن النضر[10] بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد[11] بن عدنان[12].

---

(١) عبد المطلب اسمه شيبه وهو أمير مكة وسيد البطحاء، وكانت له السيادة فى قريش، وصارت إليه السقاية والرفادة بعد عمه (عبدالمطلب) وهو الذى جدد حفر زمزم، بعد أن كانت مطمورة فى عهد جدهم، وهو أول من زين أبواب الكعبة بالذهب وعاش مائة وأربعين سنة.

(٢) وهاشم اسمه عمرو، وهو أول من سن رحلتى الشتاء والصيف إلى الشام واليمن، وهاتان الرحلتان هما اللتان ذكرهما الله تعالى فى قوله: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾ [قريش: ١ - ٤] وإليه ينسب بيت النبى وآله ﷺ من سبطيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء وأبوهما الإمام على رضى الله عنهم، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ: ملح الأرض وزينة الدنيا، وحلى العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وسر كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم.

(٣) مناف اسم الصنم الذى يقال له مناه، والذى جاء ذكره فى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝ ﴾ [النجم: ١٩-٢٢] وعبد مناف اسمه المغيرة.

(٤) قصى اسمه زيد وهو الزعيم العربى الذى أعاد لقريش مجدها وسؤددها وأطاح بخزاعة عن البيت الحرام (الكعبة) وأجلاهم عن مكة، ورجع الحق إلى نصابه، وهو الذى أسس دار الندوة، وكانت إليه الرفادة والسدانة والحجابة واللواء، وهو الذى سن السقاية، وهو أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدى إليها من يأتى إليها من عرفات وأول من أحدث الرفادة وهى إطعام الحجيج أيام موسم الحج إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم. وفرض على قومه ذلك ونهى عن الخمر قبل موته.

(٥) كلاب واسمه (حكيم) وهو جد أم رسول الله ﷺ فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة. فهو ملتقى نسب أبى الرسول الكريم بنسب أمه وقيل أنه أول من سمى الأشهر العربية المستعملة الآن.

(٦) مرة كنيته أبو يقظة وهو الجد السادس لرسول الله والجد السادس أيضاً لأبى بكر الصديق.

(٧) كعب كنيته أبو مصيص وهو الجد الثامن لعمر بن الخطاب، وأول من جمع يوم الجمعة الذى كانت قريش تسميه يوم العروبة، كان يجمع قريشا يومها، فيخطبهم ويذكرهم ويبشرهم بمبعث النبى وأنه من ولده، وكان بين موت كعب ومبعث النبى خمسمائة عام وستون.

(٨) فهر اسمه قريش، وإليه تنتسب قريش، وما كان فوق فهر يقال له قريش، بل يقال له كنانى، وكان فهر كريماً يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله، وهو الجد السادس لأبى عبيدة بن الجراح.

(٩) مالك كنيته أبو الحارث.

(١٠) النضر اسمه قيس.

(١١) معد : كان فى زمن بختنصر وكان عمره وقتذاك اثنى عشرة سنة، وقيل ولما غزا بختنصر بلاد العرب حمل أرميا معداً معه إلى الشام. ويفهم من هذا أنه كان موجوداً فى الزمن الذى غزا فيه بختنصر أورشليم (القدس) وخربها، وأنه عاصر كذلك أرميا الذى يعده بنو اسرائيل من أنبيائهم، ويقولون إن الله أوحى إليه برسالته سنة ٦٢٨ ق.م، وكان موجوداً ما بعد سنة ٥٥٨ ق.م.

(١٢) وإلى هنا معلوم الصحة، مجمع عليه فى نسبه ﷺ متفق عليه بين النسابين، وما فوق ذلك مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.

(وانظر طبقات ابن سعد ١/ ٥٦، وتاريخ الإسلام ١/ ١٧-١٨، عيون الأثر ١/ ٢، وزاد المعاد ١/ ٧١، والروض الأنف ١/ ١١، والسيرة لابن كثير (١/ ١٨٨-١٨٩).

وقد أجمع النسابون على أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فانتهاء النسب إلى إسماعيل كثير النسل العديد وذى النبوة العظمى والمُلك الشديد، مُتفق عليه كمال الاتفاق. وأمه ﷺ هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، يلتقى نسب أمه ﷺ بنسب أبيه عند جدهما الأعلى كلاب(حكيم) بن مرّه.

وقد اختصه الله سبحانه وتعالى من أطيب العشائر نكاحاً، وحماه من دنس الفواحش والسفاح، ونقله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّى مهذباً، وفى الحديث الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً «.. لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما».

وهو ﷺ ذو نسب «إبراهيم خليل الله دعامه، وإسماعيل سنامه، وكنانة زمانه، وقريش نظامه، وهاشم تمامه».

وفى صحيح الحديث عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم» فهو خيار من خيار من خيار.

نسب تحسب العُلا بحلاه ... قلّدته نجومها الجوزاء

حبّذا عقد سؤدد وفخار ... أنت فيه اليتيمة العصماء

وولد ﷺ فجر يوم الاثنين لتسع أو لاثنى عشر خلون من شهر ربيع الأول[1] عام الفيل[2]، وأرسلت أمه إلى جده عبد المطلب تبشره بمولده، فأقبل

---

(١) وحقق المرحوم محمود الفلكى تاريخ مولد الرسول ﷺ وفق التقويم الشمسى فتبين له أنه يصادف العشرين من إبريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح.

(٢) عام الفيل: حادثة شهيرة حدثت بمكة فأرخت بها العرب، وملخصها أن ملكاً من ملوك الحبشة (أبرهة الأشرم) الذين امتلكوا اليمن أغار على مكة قاصداً هدم كعبتها، وكان فى مقدمة جيشه فيل عظيم لم يكن العرب قد رأوا مثله، فإكراماً من الله للنبى الذى أظل زمانه وغيرة على بيته الحرام، أهلك هذا الجيش، وهذه الحادثة سجلها القرآن الكريم فى احدى سوره (الفيل). قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ - ٥].

مسروراً وبلغ من السرور مُناه، وأولم وأطعم وسمّاه مُحمّداً تيمناً بحمد عُقباه، وكان مولده ﷺ بالدار التى عند الصفا (شعْب بنى هاشم) والتى آلت لمحمد بن يوسف الثقفى[1]، وكانت قابلته هى الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، وأرضعته أمه ﷺ سبعة أيام، ثم أرضعته (ثويبة الأسلمية)[2]، بلبن ابنها مسروح فترة قليلة من الزمن، ثم أرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية، وأبوه من الرضاعة هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السفدى، وأخوته من الرضاع بنوها عبد الله والشيماء وأنيسة، توفيت أمه ﷺ وله من العمر ست سنوات فكفله جده عبد المطلب الذى توفى ومحمد له من العمر ثمانى سنوات، فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه عبد الله، وكان أبوه ﷺ توفى وهو ابن خمس وعشرين سنة، وأم الرسول حامل به لشهرين فقط.

وهو ﷺ دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام لأهل مكة ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩] وبشارة عيسى عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[الصف:٦] .

وإنما سُمّى فى بشارة عيسى أحمد، وهو مُحمّد كما سمّاه جده عبد المطلب، ليكون محموداً فى الأرض وفى السماء، قال رسول الله ﷺ «لى خمسة أسماء

---

(١) ذكر محب الدين الطبرى المكى فى كتابه «القرى لقاصد أم القرى» فى (ص ٦٦٤) قال: «كان عقيل بن أبى طالب قد استولى عليه (بيت النبى ﷺ) زمن الهجرة، فلم يزل بيده ويد ولده حتى باعوه لمحمد بن يوسف (أخى الحجاج) فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء، ثم عُرِفت بدار ابن يوسف، ولم يزل ذلك كذلك حتى حجت الخيزران (جارية المهدى) فجعلته مسجداً يُصلى فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذى يقال له «زقاق المولد» أ.هـ. وهو الآن مكتبة عامة.

(٢) وكانت ثويبة قد أرضعت قبله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأمه بنت عم آمنة أم النبى ﷺ (هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة) وأرضعت معه ﷺ أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى زوج أم سلمة؛ الذى أسلم بعد عشرة أنفس، وهو أخ النبى ﷺ من الرضاع وتوفى سنة ثلاث من الهجرة، وقال لما احتضر «اللهم اخلفنى فى أهلى بخير» فخلفه رسول الله ﷺ على زوجه أم سلمة رضى الله عنها وله من الولد سلمة وعمر ودرة وزينب، أمهم أم سلمة فكانت ثويبة جارية أبى لهب فاعتقها حين بشرته بولادته ﷺ عتقاً منجزاً ثم جعلها ترضعه بعد ولادته أياماً، وكان النبى ﷺ يبعث إليها بنفقة وكسوة واختلف فى إسلامها وأثبته ابن منده.

أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو اللّه بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يُحشَّر الناس على قدمى، وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى»[١] وقد سماه الله رءوفاء رحيماً[٢].

ومن أسمائه ﷺ طه ويس والمزّمّل والمدثر[٣] وعبد الله فى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾[الجن:١٩] ونبى التوبة ونبى الرحمة[٤] ومذكر فى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] إلى غير ذلك من الأسماء الكريمة له ﷺ.

وقد نشأ ﷺ متأدباً بأدب الله تعالى مفطوراً على محاسن الشيم ومكارم الأخلاق، ولما شبّ عن الطوق وقوى على العمل اشتغل بحرفة الأنبياء قبله وهى رعى الغنم مع اخوته من الرضاع فى البادية، ولما رجع إلى مكة كان يرعاها بالأجرة، ثم اشتغل بالتجارة، فاشتهر عند العرب بالصدق فى الحديث وشرف الأمانة وحُسْن المعاملة حتى لقبوه بالصادق الأمين، ثم تزوج السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها[٥] وأولد منها كل أولاده: القاسم وبه يُكنّى

---

(١) وللحديث ألفاظ وروايات مختلفة ذكرها السيوطى فى جامعه ٣٣١ جـ١ ومن رواتها البغوى فى الجعديات والحاكم والطبرانى عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، والترمذى فى الشمايل، وابن سعد عن مجاهد مرسلاً، كل بروايته وسنده، وكثرة الروايات دليل صحة الحديث، والحمد الله رب العالمين.

(٢) فى آخر سورة التوبة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٩].

(٣) فى قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ ﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

(٤) من قوله ﷺ: «أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الرحمة» رواه الإمام أحمد والإمام مسلم عن أبى موسى الأشعرى، زاد الطبرانى، «ونبى الملحمة».

(٥) أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، تزوجها ﷺ وهو ابن خمس وعشرون سنة وكانت سنها أربعين سنة، ولم يتزوج عليها فى حياتها معه ﷺ وهى أول من أسلم من النساء رضى الله عنها.. كانت تُسمى الطاهرة فى الجاهلية والإسلام، وفى سير التيمى: أنها كانت تسمى (سيدة نساء قريش)، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند هند بن زُرارة، وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، ولدت له عبدمناف بن عتيق، وقال الزبير: ولدت لعتيق جارية اسمها هند، وولدت لهند ابنا اسمه هند أيضاً، مات بالطاعون، طاعون البصرة، ولخديجة من هند ابنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة (الروض الانف ١/ ٢١٥).

وعبدالله(١) وزينب(٢) ورقية وأم كلثوم(٣) وفاطمة(٤) ما خلا إبراهيم(٥) وقصارى القول أنه ﷺ كان قبل بعثته مثال الخُلق الفاضل والكمال الوافر والنجدة والوفاء والأريحية والسخاء وإغاثة الملهوف وحماية الضعيف ، ولقد حفظه الله تعالى قبل بعثته ﷺ من كل ما كانت تفعله العرب فى الجاهلية مما حرّمه الإسلام، ليكون على تمام الاستعداد لما سيُلقى إليه من الوحى فمثله كمثل سائر الأنبياء فى عصمتهم قبل النبوة، وبعدها عن كل ما يشين مراتبهم العليّة، ومنازلهم السنيّة العصماء.

وكان ﷺ يختلى فى كل شهر فى غار حراء بقرب مكة فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد، متفكراً فى صنع الله الذى اتقن كل شئ خلقه ثم هدى، ملازماً الصمت آناء الليل وأطراف النهار، واستطاب رياضته الروحية التى يحس خلالها كأنما يدنو من الحقيقة الكبرى ويستجلى السر الأعظم، حتى أتاه الوحى

---

(١) قال ابن اسحق : «فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه ﷺ».

(٢) السيدة زينب كبرى بناته ﷺ، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع (أمه هالة بنت خويلد بن أسد)، وقد أسلم أبو العاص، وله من زينب: «عليّ» توفى صغيراً ولم يعقب، و«أمامه» تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها، وقُتل وهى عنده، فجعلت أمرها إلى ابن عمها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب مخافة أن يتزوجها معاوية، وبرأ منها لوصية زوجها الإمام على رضى الله عنه، فتزوجها المغيرة فولدت له يحيى وبه كان يكنى ولم يعقب، وماتت زينب بنت رسول الله ﷺ سنة ثمانين من الهجرة.

(٣) رقية وأم كلثوم: تزوجا ابنى أبى لهب عتبة وعتيبة، وفارقاهما بعد أن ثبتا على الشرك، ثم زوجهما رسول الله ﷺ من عثمان بن عفان واحدة بعد الأخرى فُسمى لذلك «ذو النورين» وعن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن لى أربعين بنتاً لزوجت عثمان واحدة بعد الأخرى حتى لا تبقى منهن واحدة» (وانظر أسد الغابة).

(٤) فاطمة: رضى الله تعالى عنها. هى صغرى بناته ﷺ، ولدت قبل بعثته ﷺ بخمس سنين، أيام بناء البيت، وتوفيت بعده عليه السلام بستة أشهر، تزوجها على بن أبى طالب بالمدينة فولدت له : الحسن والحسين رضى الله عنهما، ومحسن مات صغيراً، ومن البنات: زينب وأم كلثوم ورقية. وهى سيدة نساء أهل الجنة رضى الله عنها وأرضاها (وانظر كتاب: سيدات نساء أهل الجنة - المؤلف الدكتور : موسى الخطيب).

(٥) قال ابن هشام: أما إبراهيم فأمه مارية القبطية، سرية النبى ﷺ التى أهداها إليه المقوقس من قرية حصن (وتسمى الآن قرية الشيخ عبادة، وتقع فى البر الشرقى لنيل مصر).

على رأس الأربعين سنة، فأول ما بُدئ به من الوحى، الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحى، قيل مدتها ستة أشهر، ثم فاجأه جبريل وهو بالغار المذكور فى شهر رمضان، فقال له: اقرأ، فقال : ما أنا بقارئ، فغطّه حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ، فغطّه كذلك، ثم قال له فى الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ١-٥]، ولما عاد إلى خديجة وأخبرها الخبر قالت: واللّه لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكَلّ، وتُكسب المعدوم، وتُقرى الضيف، وتُعين على نوائب الدهر، ثم انطلقت به حتى أتت ابن عمها ورقة بن نوفل فأخبرته خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً، ليتنى أكون حياً إذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أومخرجى هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفى، وفتر الوحى نحو ثلاث سنين[1] ومن ثم حزن ﷺ لذلك حزناً شديداً ، ثم نزل عليه جبريل بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾ [المدثر: ١، ٢]، فنهض ﷺ بالدعوة إلى اللّه، وكان أول المؤمنين به من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علىّ ومن الأرقاء زيد بن حارثة مولاه، وأول من أسلم من العبيد الباقين على الرق، بلال المؤذن، واتسع الإسلام بعد أن أسلم أبو بكر، فأسلم عثمان بن عفان، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، فهؤلاء الخمسة دعاهم أبو بكر فأجابوا، واعتق بلالاً رضى الله عنهم وغيره من الأرقاء بماله، ثم أسلم أبو عبيدة (عامر بن الجراح)، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، فهؤلاء هم الذين سبقوا الناس إلى الإسلام.

---

(١) هذا هو الرأى السائد بين المؤرخين، وهو الأقرب للصواب.

وأقام ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة على الأرجح، وظل يدعو الناس سراً ثلاث سنين، ثم نزل عليه ﷺ بعد ذلك الأمر بالإعلان فى قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فأعلن ﷺ بالدعوة، وجاهره قومه بالعدواة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن لهم فى الهجرة إلى الحبشة. . وكان الإسراء والمعراج، وتحت ضغط المشركين وإيذائهم له ولصحبه هاجر إلى المدينة بأمر ربه يوم الخميس غرة ربيع الأول فى العام الثالث عشر من النبوّة، وعمره ﷺ وقتئذ ثلاث وخمسين سنة.

ولقد كانت غزوات رسول الله ﷺ سبع وعشرون، وسراياه وبعوثه ثمان وثلاثون.

ولقد مضى الرسول الأكرم ﷺ فى تبليغ رسالته، والقرآن دستور دعوته، فأخرج به الناس من ظلمات الجهالة إلى أنوار المعرفة، ومن رقّ التقليد إلى حرية التفكير، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن العدواة إلى المحبة، ومن رعى الغنم إلى قيادة الأمم، فكانوا بحق كما قال الله فى كتابه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

واستمرت الحياة برسول الله ﷺ فى المدينة المنورة حتى حج حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة، وخطب خطبته البلقاء التى رسم فيها معالم الدين وحدوده، وودّع منها الناس لإحساسه بأنه ملاق ربه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣ ﴾ [المائدة: ٣]. وصعدت روحه الشريفة ﷺ إلى بارئها يوم الاثنين ثانى عشر من شهر ربيع الأول فى السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية وعمره إذ ذاك ثلاث وستون سنة قمرية.

وجدير بنا لاسيما فى تلك الفترة من حياة أمتنا أن نفئ إلى تعاليم القرآن فنجعلها أساس نهضتنا، وركيزة حياتنا حتى يحقق الله لنا صادق وعده: ﴿ وَعَدَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور: ٥٥، ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

ولقد كان سيد الخلق والمرسلين ﷺ أكثر عباد الله تضرعاً ودعاء، حيث لم يخل زمان ولا مكان على امتداد حياته، إلا وله فيه نداء وابتهال وذلك لعلمه ﷺ بأن الدعاء هو العبادة بل هو فؤادها ومخها، وأنه أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى، وأعظم السبل لتحقيق متطلبات رسالته والوصول إلى أهدافها وغاياتها المنشودة لهذا كثرت أحاديثه الشريفة الحاملة للدعاء حتى استغرقت كل حياته الخاصة والعامة بحيث جاوزت كل حصر لأنها نبتت من أحاسيسه وظروفه المحيطة به وبدعوته وبالمؤمنين به.

أما أدعيته الواردة فى القرآن الكريم فهى قليلة إذا قيست بأدعيته النبوية، وقد قسمناها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الدعاء النفسى وهو دعاء واحد فقط.

القسم الثانى : وهو المأمور به من ربه والمصدّر بلفظ «قل».

القسم الثالث: وهو الدعاء الصادر من رسول الله ﷺ.

القسم الرابع: استغفاره ﷺ لنفسه ولغيره بأمر ربه.

ولقد كان ﷺ بسلوكه الأقوم التطبيق العملى لما فى القرآن الكريم من فضائل وآداب، ولهذا اصطفاه الله رحمة للعالمين، وخاتماً للأنبياء والمرسلين،

وأمرنا سبحانه بالتأسى به، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الاحزاب: ٢١].

والله أسأل أن ينفعنا ببركة دعائه ﷺ فى القرآن الكريم، وأن تجعلنا يارب من عبادك السعداء الموفقين، ولا تجعلنا من عبادك الأشقياء المحرومين، واهدنا صراطك المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين أمين.

وأرجو من قرّائه الكرام أن يغضوا الطرف عن هفواته وأخطائه، فإن العصمة لله وحده والكمال لله رب العالمين.

وبالله التوفيق...

المؤلفان



الفصل الأول

الدعاء النفسى

هذا القسم مشتمل على دعاء واحد فى سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] تشير هذه الآية الكريمة إلى قصة تحول القبلة وأسبابه فلقد كان رسول الله ﷺ وصحابته الكرام يتوجهون إلى الكعبة فى صلاتهم منذ أن فرضت فلما هاجر عليه السلام من مكة إلى المدينة أمره اللّه تعالى أن يتوجه هو والمسلمون فى صلاتهم إلى بيت المقدس تألفاً لليهود، فاستجاب الرسول والمسلمون لأمر ربهم واتجهوا إلى بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهراً لكنه كان فى هذه المدة يحن إلى الكعبة ويود من الله تعالى أن يأمره بالعودة إليها، وكثر تقلب وجهه فى السماء وتطلعه إلى الوحى تشوقاً وتشرفاً ولعل الحامل له على ذلك هو أن الكعبة كانت قبلة أبيه إبراهيم الخليل، كما أن توجهه إليها أدعى إلى إسلام العرب وهم أهله وعشيرته.

ولقد كان هذا الدعاء القلبى الصادر من ذات الرسول ﷺ والذى أوحت به ظروفه المحيطة وارتسمت علاماته على وجهه الشريف دون أن ينطلق به لسانه، لقد كان هذا الدعاء من أرقى أنواع المناجاة لأنه دعاء نفسى خفى نابع عن ألم، ومتطلع إلى أمل لا لنفع شخصى يعود على الرسول بل لقصد استمالة القلوب إلى دعوته واستهواء العقول إلى رسالته.

لهذا كله استجاب الله تعالى هذا الدعاء وحقق أمنيته فقال تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[البقرة: ١٤٤]، ولقد كان تحول القبلة من الكعبة إلى بيت المقدس ثم

العودة بها إلى الكعبة مثار لغط وتساؤلات كثيرة ولهذا كانت الآيتان السابقتان على آيتنا هذه خير موضح ومجيب لهذه الاستفسارات بل تضمنت هاتان الآيتان الحكمة الإلهية التى استوجبت التحويل والعودة فقد قال الله تعالى:

﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ** (اليهود والمشركين) **مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا** (بيت المقدس) **قُل** (يا محمد لهؤلاء) **لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٢] . ثم يقول الله تعالى مبيناً الحكمة من هذا التحويل:

﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا** (وهى الكعبة) **إِلَّا لِنَعْلَمَ** (علم الظهور) **مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ** (فيصدقه) **مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ** (فيكذبه) ﴾[البقرة: ١٤٣].

ثم يبين جل شأنه أن التحول عن القبْلة أمر شاق على كثير من الناس إلا من هداهم الله فقال تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ١٤٥].

ثم طمأن جل علاه المؤمنين بأن موتاهم الذين توفوا قبل الأمر بتحويل القبلة إلى الكعبة وكانوا يصلون إلى بيت المقدس طمأنهم بأن هذه الصلاة لن يضيع عليهم ثوابها فقال جل شأنه : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة :١٤٣]

الفصل الثانى

القسم الثانى : هو المأمور به من الله تعالى والمصدّر بلفظ «قل»

يكاد هذا القسم أن يكون خاصا برسول الله ﷺ وبرسالته تدعيما وذودا، واستمراراً، لأن فيه الشكوى إلى الله تعالى مما لقيه وصحبه من عنت قومه وطلب المزيد من العلم والمغفرة والنصر على الأعداء، والنجاة عند نزول العذاب والاستعاذة من شر ما خلق الله من الكائنات، وهذه الآيات فى سورة الإسراء والكهف والأنبياء والمؤمنين والفرقان والزخرف والمعوذتين وتبلغ إحدى عشرة آية.

وكلمة «قل» بالنسبة للنبى الأمى الأمين ليطيّب النفوس المريضة، ويداوى جراح الآلام فى النفوس الشاردة بالوقود الروحى، وشحنة الإيمان الكامل، والعقيدة الصافية واليقين الراسخ الذى يمتاز به المؤمنون من أتباع الإسلام، الذين يسلمون وجوههم لخالقهم، ويفوضون أمرهم لموحدهم الخلاق الكريم.

فكلمة «قل» عادة فى القرآن الكريم، إنما تعالج الحياة البشرية فى ضجيجها وماديتها الجامحة، وتكالبها المسعور التى تقلقل الحياة، وتحرق الأعصاب من أوراها الملتهب، وأسقامها التى يعزّ علاجها إلا فى القرآن الكريم، الذى ينفذ إلى الأعماق فيستأصل الداء من أساسه، ويحصّن النفوس من أن يتسرب إليها ظلام اليأس فيهدد أعماقها، ويذيب ما شاع فى أنحائها من ألم نفسى، أو حيرة مترددة قاتلة، ويضع مكانها نوراً وأملاً وحقيقة وثباتا ويقينا جازما لا تردد فيه ولا قلق، فيبين لها الحق من أساسه، ويزيل الباطل فى مكمنه، ويحسِّن نسمات الأمن فتهب على النفس رخيّة نديّة البنيان، تعطر بأريجها الحياة فتجعلها واضحة مستقيمة ثابتة البنيات، راسخة البنيان، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المبحث الأول

الدعاء الأول ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١١٤]

العلم هو الغذاء الروحى الذى لا غنى عنه إذ هو حياتها ونورها وإشراقها، ومن عجب أنك لا تعثر على آية فى القرآن الكريم تطلب من المصطفى الاستزادة من شىء إلا هذه الآية، لأن الحياة من غير علم لا إحساس فيها ولا حراك كما أن العلم من غير القرآن الكريم لانبض فيه ولا حياة ولا ثمرة ولا رجاء منه.

هذه الفقرة القرآنية هى جزء فى آية من سورة طه هى قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] فما نوع هذا العلم الذى أمر الله تعالى نبيه محمداً أن يطلب المزيد منه؟

هل المراد به القرآن الكريم وإذ كان كذلك فلم عبر عن القرآن بالعلم؟

وإذا لم يكن المراد بالعلم هنا هو القرآن فما المراد به إذاً، ولم قُرن بالقرآن؟

تساؤلات واستفسارات يستطيع المرء الوقوف على إجابتها من خلال رأى ابن مسعود رضى الله عنه فقد كان يقول : إذا قرأ هذه الآية «اللهم زدنى علما ويقينا» ثم يقول كأن الآية هكذا قال الله تعالى «لنبيه» (قل رب زدنى علما بالقرآن)، فإطلاق العلم وإرادة القرآن الكريم ما هو إلا تنبيه للمسلمين إلى أن مصدر العلم الحقيقى النافع هو القرآن الكريم سواء كان هذا العلم لشئون الدنيا أم لطريق الآخرة، فبعد أن بيّن فى صدر هذه الآية كيفية تلقى القرآن، أمر الله تعالى المصطفى أن يطلب منه المزيد من العلم وإن كان ابن مسعود قد فسر العلم هنا بالقرآن لأن البيئة القرآنية توحى بذلك غير أنه يجب على المسلم أن يعلم تماما أن الإسلام ودستوره القرآن الكريم لايمنع المزيد من أى نوع من أنواع الثقافة

والعلوم والمعرفة طالما تساهم هذه الأنواع فى تثبيت قاعدة التوحيد فى نفوس الخلق وتجلب لهم الخير فى عاجلهم وآجلهم.

وللمزيد من المعرفة فى هذا المقام ينبغى أن نقف على آراء المفسرين فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١١٤] قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحى حرصا على الوحى وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك وأنزل ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾.

قال القرطبى: وهذا كقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ ﴾ [القيامة: ١٦] (١) ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١١٤] أى سل الله عز وجل زيادة العلم النافع، قال الطبرى: أمره بمسألته من فوائد العلم مالا يعلم(٢) فهى لطيفة تربوية فى باب التعليم، وما ينبغى للمتعلم أن يتحلى به من تواضع وأدب جم، وتحثه على التزود من مناهل الحكمة والعرفان.

المبحث الثانى

الدعاء الثانى

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٣، ٩٤]

إن الجسم هو وعاء النفس والروح ولهذا حرص الإسلام كل الحرص على أن يظل سليماً معافى لا يتخلله الفساد، ولاتتسرب إليه الأمراض، ولقد أمر الله تعالى أنبياءه والمؤمنين بهم بالحفاظ عليه بل شملت رحمته الجاحدين نعمة المنكرين لوجوده، فأبان لهم الطريق المؤدى إلى ذلك وهو طيب المطعم والمشرب، قال تعالى:

---

(١) القرطبى: ١١/ ٢٥٠.

(٢) الطبرى: ١٦/ ٢٢٠.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

فالله تعالى يأمر الناس جميعا مع اختلاف عقائدهم أن يكون طعامهم من الحلال الطيب لأن منه تنمو أبدانهم، وتتفتح أذهانهم حيث يتحول ذلك الطعام الطيب إلى دماء تغذى جميع أجزاء الجسم بما فى ذلك القلب الذى هو وعاء الإيمان والتوحيد والعقل الذى هو آلة الفهم والتعقل والتحصيل لشرائع الله تعالى والأعضاء التى تشرّفت بحركات العبادة وقامت بأعمال الطاعة. ولقد وضع القرآن الكريم قاعدة الطب الوقائى فى قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف: ٣١]. وختمه بقوله تعالى: ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥] لهذا كله لا ينبغى لمسلم يخاف الله ويجب رسوله أن يلتزم جانب الطب الوقائى أو العلاجى فلا يورد نفسه وبدنه موارد الهلاك وذلك باحتساء السموم السائلة والمجمدة قصد اللذة والانتشاء أو قصد التخلص من متاعب الحياة. وأدعية القرآن والسنة قد بينتا ووضحتا الكثير من المزالق التى يهوى فيها الإنسان عملا وقولا إذ بعض الناس يخاطر بنفسه دون تبصر بعواقب الأمور فيدعو على نفسه بالموت فراراً من نكبات الدهر وتقلب الزمن مع علمه بأن الرسول ﷺ قد نهى المسلمين عن ذلك.

ومن أجل هذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين باتقاء الفتن لأنها لو نزلت لاتفرق بين الصالح والطالح ولقول الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٥] والدعاء كما هو مطلوب فى الرخاء، فهو أكثر طلبا عند نزول البلاء، ولقد مرّت بالأمم الحالية ظروف قاسية بسبب ما جنته أيديهم، فأهلك الله بعضهم بالطاغية وغيرهم بريح صرصر عاتية

وفى كل حال من هذه الأحوال حفظ الله أنبياء هذه الأمم ورسلهم مما نزل ببعض أممهم ولهذا نجد المولى الكريم يعلّم نبيه محمدا أن يدعوه بهذا الدعاء وهو ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٣، ٩٤] أى (قل يا محمد داعيا ربك إن كان لابد أن تشهدنى ماتوعدت به الظالمين من العذاب فى الدنيا ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هذا جواب الشرط (إما) وكرر قوله (رب) مبالغة فى الدعاء والتضرع أى رب فلا تجعلنى قرينا لهم فيه فأهلك بهلاكهم قال أبو حيان: ومعلوم أنه عليه السلام معصوم مما يكون سببا لجعله مع الظالمين ولكنه أُمر أن يدعو بذلك إظهاراً للعبودية وتواضعاً لله[1] وقيل: أن الله أراد وهو الأعلم بمراده أن يعظّم أجر نبيه ﷺ وليجعله دائما ذاكراً فى جميع الأوقات والأماكن والأحوال، ذاكراً لله تعالى وداعيا ومنيبا إليه. ولهذا قال الزمخشرى رحمه الله: يجوز للعبد أن يسأل ربه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهاراً للعبودية وتواضعا لربه وإخباتاً له[2].

المبحث الثالث

الدعاء الثالث

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون: ٩٧-٩٨].

أمر الله المؤمنين فى شخص نبيهم ﷺ أن يستعيذوا بالله ويلجأوا إليه من وسوسة الشياطين وخطراتها التى تجريها على قلب ابن آدم بقصد الإفساد وإرتكاب المعاصى، والبعد عن ساحة الرحمن فقال: ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

ولهذا كان النبى ﷺ يكثر فى دعائه من قوله: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» وقوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.

---

(١) البحر: ٦/ ٤٢٠.

(٢) الكشاف: ٣/ ١٥٠.

أى فى أى شىء من أمرى، ولهذا أمر بذكر الله فى ابتداء الأمور وذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور، وخاصة فى حالة الصلاة وحالة القرآن، أى قراءته كما روى عن ابن عباس، وفى حالة حلول الأجل كما روى عن عكرمة، ويلاحظ تكرار كل من العامل والنداء مما يفيد المبالغة وزيادة الاعتناء بهذه الاستعاذة، كما يلاحظ أن الجمع فى لفظ (همزات) يوحى بتكرار نخساته وتباين وساوسه وتنوعها، أو لتعدد المضاف إليه وكثرته وهم الشياطين، ولهذا روى أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت» وقال الإمام أحمد حدّثنا محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول اللّه ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند الفزع من النوم: «بسم الله أعوذ بكلمات االلّه التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» قال: فكان عبد الله بن عمرو يُعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيراً لايعقل أن يحفظها، كتبها له فعلّقها فى عنقه.

دعاء محمد صلى الله عليه وسلم
فى افتتاح الصلاة

«قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾» (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)

التفسير: أى قل يا محمد إن صلاتى التى أعبد بها ربى «ونسكى» أى عبادتى، والناسك العابد. أو ذبحى[1]، أو حجى[2] «ومحياى ومماتى» وما أتيته فى حياتى وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح «لله رب العالمين» خالصا لوجه الله تعالى «لا شريك له» أى لا أعبد غير الله «وبذلك أمرت» أى وبذلك الإخلاص فى العبادة أُمرت «وأنا أول المسلمين» أى أول من أقر وأذعن وخضع لله جل وعلا، ولأن إسلام كل نبى متقدم على إسلام أمته[3]. ويستحب افتتاح الصلوات المكتوبة بهذه الآية الكريمة بعد البسملة تيمنا ببركته واقتداء بسنته صلى الله عليه وسلم.

(١) هذا قول ابن عباس ومجاهد واختاره الطبرى وذهب بعض المفسرين إن المراد بالنسك العبادة والأول أرجح
(٢) تفسير النسفى: ١/ ٥٢٤
(٣) المرجع السابق

الفصل الثالث

المعوذتان

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق: ١-٥].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾

[الناس: ١-٦]

سورة الفلق

التفسير:

بعد أن حدد الله معالم الألوهية والوحدانية فى سورة الإخلاص بيّن فى سورة الفلق ما يجب على المصطفى أن يتعوذ به (بالله) منه، والفلق هو كل ما انفلق من جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شىء من نبات أو غيره .

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أى من شر جميع المخلوقات ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال مجاهد غسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخارى عنه، وقال الحسن وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه، وقال الزهرى: الشمس إذا غربت، وعن عطية وقتادة: إذا وقب الليل: إذا ذهب، وقيل: القمر، لما رواه الترمذى والنسائى من حديث عائشة قالت أخذ رسول الله ﷺ بيدى فأرانى القمر حين طلع وقال: «تعوّذى بالله من شر الغاسق إذا وقب» وقال أصحاب القول الأول: وهو آية الليل إذا ولج[1] هذا لاينافى قولنا لأن القمر آية الليل ولايوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لاتضىء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه، ومما يعضّد هذا الرأى أن الليل بظلامه وسكونه وحلوله وبرده ودخوله مدعاة ليسوّل

(١) ولج : دخل

للإنسان ارتكاب الشرور والآثام والمعاصى والسيئات، والله أعلم. ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وهن النساء السواحر اللاتى ينفثن فى الخيط الذى يعقدنه وينفخن فيه بقولهن، بريق وبغير ريق، يفسدن ما بين الأزواج الأحبة من علامات الوداد والصفاء، ويشعلن بينهم الفرقة والبغضاء. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير، ويلاحظ أن هذه الأمور الأربعة، المتُعوذ منها، قد ذُكرت فى سورة الفلق مرتين:

الأولى : إجمالاً فى قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ .

الثانية: تفصيلاً فى قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

وذكر هذه الأمور الثلاثة إجمالاً وتفصيلاً دليل على الاهتمام بها، والاعتناء بشأنها، وذلك لكثرة وقوعها، وعظم خطرها وشرها وتعرض الناس لها. كما أن الاستعاذة من هذه الأمور والبعد عنها وتجنبها هى أعظم ما يتمناه الإنسان فى حياته لأن المرء إذا اطمأن على نفسه فى زمانه ومكانه، وسلم من السحرة والسواحر، ومن شر الحاسدين الحاقدين كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها، وكان كمن سبقت له السعادة كلها.

بقى هنا سؤالان:

السؤال الأول :قوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عام فى كل ما يُستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟. الجواب: تنبيهاً على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر.

السؤال الثانى: لِمَ عرّف بعض المستعاذ منه ونكّر بعضه؟. الجواب: عرّف النفاثات لأن كل نّفاثة شرِّيرة، ونكّر غاسقاً لأنه ليس كل غاسق شريراً، وأيضاً ليس كل حاسد شريراً، بل رُبَّ حسد يكون محموداً، وهو الحسد فى الخيرات[1] وهو حسد الغبطة، وهو تمنى أن يكون له مثل حال المحسود من غير

(١) الفخر الرازى: جـ(٣١-٣٢)/ ١٧٩.

أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به، ولا يُعاب صاحبه، بل هو قريب من المنافسة، وفى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل أتاه الله مالاً، وسلّطه على هلكته فى الحق، ورجل أتاه الله الحكمة، فهو يقضى بها ويعلمها الناس»(١).

والله سبحانه وتعالى أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الناس

التفسير:

أما السورة الثانية وهى سورة الناس مكية، وقد نزلت بعد سورة الفلق، وفيها يأمر المولى نبيه محمداً ﷺ أن يتعوذ به تعالى ثلاث مرات من شىء واحد وهو الشيطان الرجيم. قال الله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾[الناس: ١-٦].

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل: الربوبية والملك والألوهية، فهو رب كل شىء ومليكه وإلهه باعتبار وحدانيته وألوهيته الجامعة لجميع النعوت وسائر صفات الكمال، فجميع الأشياء له مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ به تعالى ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بنى آدم إلا وله قرين يزيّن له الفواحش، ولايألوه جهداً فى الخبال، والمعصوم من عصمة الله، وقد ثبت فى الصحيح أنه: «مامنكم من أحد إلا وقد وكلّ به قرينه» قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير»، وقال ابن عباس فى قوله: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس إليه،

---
(١) التفسير القيم لابن القيم: ٩/ ٥٨٤.

فإذا ذكر الله خنس، وقيل ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ الموسوس من شياطين الجن والإنس، ﴿الْخَنَّاسِ﴾ المتوارى المختفى ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أى الذى يُلقى لشدة خبثه فى قلوب البشر صفوف الوساوس والأوهام، قال القرطبى: ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت[1] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ تفسير الذى يوسوس فى صدور الناس من شياطين الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الأنعام: ١٢٢]، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكاً وخطراً من شياطين الجن، فإن شيطان الجن يخنس بالاستعاذة، وشيطان الإنس يزّين له الفواحش ويغريه بالمنكرات، ولا ينهيه عن عزمه شئ، والمعصوم من عصمه الله.

لطيفة : المستعاذ به فى السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهى أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهى الغاسق، والنفاثات، والحاسد، وأما فى هذه السورة، فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث: وهى الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة، وهى الوسوسة، والفرق بين الموضعين أن الثناء يحب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب فى السورة الأولى: سلامة النفس والبدن، والمطلوب فى السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرّة الدين وإن قلّت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت، والله سبحانه وتعالى أعلم[2].

أسباب النزول : أخرج البيهقى فى دلائل النبوة من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قوله: مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً فأتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه: ما ترى؟ قال: طُبّ قال : وما طُبّ؟ قال: سُحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودى، قال أين هو؟ قال: فى بئر آل فلان تحت صخرة

(١) القرطبى : ٢٠/ ٢٦٣.

(٢) الفخر الرازى : جـ (٣١-٣٢) / ١٨٢.

فى ركية، فأتوا الرُّكية «البئر» فانزحوا ماءها، وارفعوا الصخرة ثم أخذوا الركية وأحرقوها، فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر فى نفر، فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الركية وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشر عقدة، وأُنزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آيه انحلت عقدة. **﴿قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس﴾** ولأصله شاهد فى الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما، وأخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئا، فأصابه من ذلك وجع شديد فدخل عليه أصحابه فظنوا أن ألمَّ به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوّذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحاً، وروى الإمام أحمد عن زيد بن الأرقم قال: «سحر النبى ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال: فجاءه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً فى بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجىء بها، فبعث رسول الله ﷺ من استخرجها فجاءه بها، فحلها، قال فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لليهودى ولارآه فى وجهه حتى مات».

قال القاضى عياض: «والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض، مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوّته. وأما كونه يخيَّل إليه أنه فعل الشىء ولم يفعله، فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شىء من صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا. . وإنما هذا فيما يجوز طروُّه[1] عليه فى أمر دنياه التى لم يبُعث لسببها، ولأُفضِّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أنه يخيل إليه من أمورها مالا حقيقة له، ثم ينجلى عنه كما كان» أ. هـ.

فالسحر وقع برسول الله ﷺ، والأخبار وارده بذلك عنه ﷺ متواترة

(١) كذا بالزاد (١٠٤) وفى الأصل «طرده» هو تصحيف

وآحاداً. . وأن السحر عمل فيه. . وأنه لما استُخرج زال عن النبى ﷺ ذلك العارض وأنزل المعوذتين بسببه، وهو ابتلاء الله له للتأسى به كسائر ما ابتُلى به فمن ينكر ذلك على ما ثبت فى الصحيحين عن رسول الله فهو على غير هدى وعلى غير صواب.

وقد حذر القرآن الكريم من السِّحر. ونعى على الساحرين حالهم. وعرَّفنا بعاقبتهم الوبيلة. . وشرح لنا فسادهم. . فهم مفسدون فى الأرض، وأن السَّاحر مهما بلغت درجة سحره فلا يفلح أبداً ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه:٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[البقرة:١٠٢].

قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم: «عمل السحر وتعلّمه وتعليمه حرام. . وهو من الكبائر بالإجماع، والرسول ﷺ عَدّه من الموبقات السبع».

قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات - أى المهلكات - قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

علاج المسحور

يقول ابن القيم: والمقصود ذكر هديه ﷺ فى علاج هذا المرض. . وقد روى عنه نوعان: احدهما؛ وهو أبلغهما: استخراجه وتبطيله. كما صحَّ عنه ﷺ: أنه سأل ربه سبحانه فى ذلك فدُلّ عليه، فاستخرجه من بئر، فكان فى مشط ومشاطة(٢) وجُفِّ طَلْعَةَ ذُكَرٍ(٣)، فلما استخرجه. ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال: فهذا من أبلغ ما يُعالج به المطبوب (المسحور).

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة.
(٢) مشاطة رأس النبى ﷺ وعدة من أسنان مشطه ﷺ.
(٣) الجُفُّ: وعاء الطَّلع.

الثانى: ومن أنفع علاجات السحر: الأدوية الإلهية، بل هى أدويته النافعة بالذات وللوقاية من السِّحر وأضراره قبل وقوعه؛ قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، فعن عبد الله بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» وعن عقبة أن النبى ﷺ قال «يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قُرئتا؛ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس.. يا عقبة اقرأهما كلما نمت وقمت ما سأل سائل، ولا استعاذ مستعيذ بمثلها»[1].

ويقول ابن القيم فى زاد المعاد «من لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه فلا كفاه الله».

ورد فى الأثر أن هذه الرقية نافعة بإذن الله لإبطال السِّحر «اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضُرّ، وإنى أعوذ بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك سبحانك ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

دعاء لإبطال السحر بالمنازل (مجرّب)

تتوضأ وتصلى ركعتين لله تعالى، ثم تقرأ فى إناء فيه ماء سورة يس، وهذا الدعاء «أسألك اللهم بحق يس، وقدرة يس، وقوة يس، وعظمة يس، وفضل يس، وكرامة يس، وسرّ يس، أن تبطل سحر الساحرين ومكر الماكرين وكيد الكائدين، ووسوسة الشياطين بحق كلامك الكريم، وبحق قوة لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم» وتنثر ما بالإناء من الماء على بركة الله فيبطل السحر بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ٣١٢)، وابن أبى داود فى السنن رقم (١٠٩) باب الاستعاذة، والنسائى باب الاستعاذة رقم (١)، والترمذى برقم (٣٥٧٥)، وكنز العمال برقم (٢٦٧٠).

علاج السحر بالنشرة

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور وهى نوعان: حل بسحر وهو الذى من عمل الشيطان وعليه يحمل عليه قول الجن فيقترب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور، والثانى: النشرة بالرقية، والتعوذات والأدوية المباحة فهذا جائز.

صفة النشرة الجائزة: ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ليث أبى سليم قال: بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى أناء به ماء ثم تصب على رأس المسحور الآية التى فى سورة يونس ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ إلى قوله ﴿ **وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢]، وفى سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿ **فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر أربع آيات. ثم ﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ**﴾ [طه: ٧٠].

العلاج بالسدر

التفريق بين الزوجين: وقال ابن بطال: فى كتاب وهب بن منبه أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر[١] فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله، ولله الحمد قد جرب هذا العلاج على العديد من المصابين ونفع نفعاً بليغاً بفضل الله حتى فى الطلاق وعدم عقد النكاح. قال عبد الرازق: وقال الشعبى: لا بأس بالنشرة[٢] العربية التى لا تضر إذا وطئت. والنشرة العربية: أن يخرج الإنسان موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وشماله من كل عشر[٣] يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به[٤] وفى كتب وهب: أن

(١) السدر : شجر النَّبِق.

(٢) رقى وتعاويذ مشروعة لا رقى محرمة كحل السحر بسحر مثله.

(٣) وقد جرب سبع ورقات من سدر أخضر ونفع للذى لا يصل إلى جماع زوجته.

(٤) نقله الحافظ من هنا فى الفتح ١٠ : ١٨٣.

تؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه فى الماء ويقرأ فيه آية الكرسى وذات قل ثم يحسو ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

والقواقل هى قل يا أيها الكافرون، وسورة قل هو الله أحد، وسورة قل أعوذ برب الفلق، وسورة قل أعوذ برب الناس.

أثر عن عائشة لفك السحر

وهذا الحديث له فائدة كبيرة لفك السحر وقد جاء بسند صحيح، عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنها أعتقت جارية لها عن دُبُرٍ منْهَا، ثم أن عائشة مرضت فدخل عليها سِنْدِىٌّ، فقال: إنك مطبوبة؟ فقالت: من طَبَّنى: قال: أمرأة من نعتها كذا وكذا، وقد بال فى حجرها صبى، فقالت عائشة: أدعو لى فُلانة لجارية تَخْدُمُها، فوجدوها فى بيت جيران لها، فى حجرها صبى قد بَالَ، فقالت: حتى ما أغسل بول هذا الصبى، فغسلته ثُمَّ جاءت. فقالت لها عائشة: أسحرتينى؟ فقالت: نعم. فقالت: لم؟ أحْبَبْتُ العتق، قالت عائشة: والله لا تعتقى أبداً، فأمرت ابن أخيها أن يبيعها من الأعراب ممن يُسئ ملكتِها ثم ابتع بثمنها رقبة حتى أعْتقَها، ففعلت. قالت عَمْرَةُ: فلبثت عائشة ما شاء الله من الزمان، ثم أنها رأت فى النوم أن اغتسلى من ثلاث أبؤر يمد بعضها بعضاً، فإنك تشفين فاغتسلت فشفيت.[1] وشرح الحديث يستفاد منه أن عائشة رضى الله عنها لما سحرت من الجارية رغبة أن تعتق تأثرت عائشة من فعل السحر، وبالرؤيا كشف لها العلاج، وهى رؤيا خير، وذلك من فضل الله تبارك وتعالى. ومعنى ثلاث أبؤر: أى جاءت من بئر الماء ويمد بعضها فى بعض أن تكون متقاربة كما كان فى الماضى القريب حيث تتوافر هذه الآبار بكثرة ويمكن

(١) قال شعيب الأرنؤط صحيح وهو ما انفرد بروايته أبو مصعب الزهرى العوطى قاضى المدينة، أحد رواة الموطأ عن أنس بن مالك وقد قالوا إن فى موطئه زيادة نحو مائة حديث عن سائر الموطئات، وهو من آخر الموطئات التى عرضت على مالك رحمه الله تعالى (شرح السنة للبغوى).

وجودها الآن فى أماكن الزراعة وأفضلها تقاربها أى بمسافات متقاربة من بعض لأن ماءها يصل بالبئر الآخر وهذه فائدة.

داء الحسد وخطره

أصل الحسد فى اللغة: بُغض نعمة اللّه وتمنّى زوالها عن المحسود، أو تحوّلها إلى الحاسد. وهذا يكون من القلب الكافر بواسع فضل اللّه، وبالغ حكمته، ومحكم تدبيره، وعظيم رحمته، فيتولد من ذلك الضغن والحقد، ثم الكيد والمكر السيئ، ويهيئ بذلك للشيطان فرصة يدخل بها على الحاسد، فيتولاه ويوحى إليه أخبث الكيد وأسوأ المكر، ويؤزه إلى الشر والإفساد أزاً، ويتولى الحاسد ويعاونه بتدبير أنواع الأذى للمحسود ليصل إلى ما تمناه من سلب نعمة اللّه عليه فإن استطاع أن يأخذها لنفسه، وإلا شفى غيظ قلبه بزوالها. وما كانت الشرور فى العالم، والفساد فى الأرض إلا من هذا البغى والحسد، للأنبياء ولأتباعهم، ولكل من للّه عليه نعمة.

والحسد نعوذ باللّه من شره أول خطيئة اقترفت فى السماء وأول معصية ظهرت فى الأرض خص بها أفضل الملائكة فعصى ربه وغوى واستكبر، كما قال الله تعالى: ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ؟؟ ﴾.

ولم تهدأ ثائرة حسده، ولا أطفئت جذوة حقده، بإخراج آدم وزوجه من الجنة فطلب أن يتعقبهما وذريتهما فى دار الدنيا بالإغواء والإضلال، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٦٢].

فاستجاب الله دعوته فيمن ضل من عباده قال: ﴿ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾[الإسراء: ٦٣-٦٥].

وأما فى الأرض فإن ابنى آدم، حسد أحدهما أخاه، إذ قربا قرباناً فَتُقُبِّلَ من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فقتله فأصبح من الخاسرين. فالحسد قد حمله على القسوة، وبلغ به أقصى درجات الحقد والعقوق فقتل أخاه من أجله.

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «دب إليكم داء الأمم من قبلكم البغضاء والحسد، هى الحالقة، حالقة الدين، ولا حالقة الشعر. والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

وحذر منه الرسول ﷺ فقال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1].

وقال النبى الكريم أيضاً: «الحسد يفسد الإيمان، كما يفسد الصَّبِرُ العسل».

وقال بعض العارفين: الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد.

وحسبنا فى ذم الحسد وقبحه أنه يفسد الطاعات ويأكل الحسنات ويبعث على الخطايا والبلايا، والله تبارك وتعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمر بها من شر الشيطان الرجيم، وأن الحاسد لا ينال من الناس إلا بغضاً وذماً، ومن الملائكة إلا لعنة، ولا ينال من الدنيا إلا جزعاً وغماً، وعند النزع إلا شدة وهولاً، وفى الموقف إلا فضيحة ونكالاً.

وما خالط الحسد قلباً إلا عجز عن ضبطه وكتمانه وتمرد عليه بظهوره وإعلانه، فيظهر فى كلامه وفلتات لسانه وأسارير وجهه ولو لم يكن من ذم للحسد إلا أنه خلق دنئ، لا يكون إلا للأكفاء والأقارب والأصدقاء، لكان التنزه عنه محمدة والاتصاف به منقصة، فكيف وهو عنصر بالجسم والنفس حتى لقد يفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية فى عدو ولا إضرار لمحسود. قال معاوية ابن أبى سفيان: «ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود».

---

(١) رواه أبو داود.

وقال ابن المعتز: «الحسد داء الجسد».

والحساد أعداء لنعم الله، كما قال النبى ﷺ: «إن لنعم الله أعداء. فقيل ومن هم قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله».

وقيل للحسن البصرى: أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك لأخوة يوسف!!.

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: «لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد».

الإصابة بالعين وأثرها

وأبرز ما فى الإنسان الذى تعرف به ما انطوت عليه نفسه من الحسد ونتائجه، هو العين، فإن المتوسم يقرأ فيها ما يضمره العدو من كيد وشر، فيحذره ويتقيه، والعين كذلك فيك هى السفير الذى يأتيك بالخير أو الشر، فاحفظ هذا السفير بإيمانك باللّه الرقيب الحسيب تنج من الحسد السيئ وكيد الحاسد بقوة اللّه.

والاستعاذة فى الآية الكريمة من شر نفس الحاسد، ومن شر عينه فإنه ربما أصاب بهما فعاب وضر، وقد جاء فى الحديث «العين حق» وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة عن عامر بن عبيد بن رفاعة أن أسماء بنت عمير قالت: يا رسول اللّه، إن بنى جعفر تصيبهم العين، أفنسترقى لهم؟ قال: «نعم. فلو كان شئ يسبق القضاء لسبقته العين».

وقد قال غير واحد من المفسرين فى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] إنه الإصابة بالعين، أرادوا أن يصيبوا بها رسول اللّه ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه خذ المكتل والدرهم وائتنا بشئ من لحمها، فما تبرح حتى تقع وتخر. قال الكلبى: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه

فما تذهب إلا قليلاً، حتى يسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به كفعله فى غيره فعصم الله رسوله وحفظه وأنزل عليه: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

وقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى سعيد، رقية جبريل للنبى ﷺ بقول: « بسم الله أرقيك. من كل شئ يؤذيك. من شر كل نفس أو عين حاسد، اللّه يشفيك».

وروى أن العضباء ناقة النبى ﷺ لم تكن تُسْبَق فجاء أعرابى على قعود له، فسابق بها فسبقها، فشق ذلك على الصحابة فقال النبى: «حق على الله عز وجل ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه».

وروى أنس أن النبى ﷺ قال: «من رأى شيئاً يعجبه، فقال: اللّه، اللّه، ما شاء اللّه، لا قوة إلا باللّه، لم يضر شيئاً».

قال بعض العلماء: إن الله تبارك وتعالى جمع الشرور كلها فى هذه السورة، وختمها بالحسد، ليعلم أنه أخس الطبائع، وأقبح الصفات نعوذ بالله منه. والنبى الأمين كان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين بسورة الفلق وسورة الناس.

وهذه السورة من أكبر أدوية الحسد، فإنها تتضمن التوكل على الله، والالتجاء إليه، والاستعاذة به من شر حاسد النعمة، ومن شر كل شر، والله هو ولى النعم، وهو الذى إن استعاذ به العبد أعاذه.

وكأن العبد يقول: يا من أولانى نعمته، وأسداها إلىّ، أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها منى، ويزيلها عنى، والله حسب من توكل عليه، وكافى من لجأ إليه، وهو الذى يؤمن من خوف الخائف ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه، تولاه الله وحفظه وحرسه وصانه. ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر، وجلب

إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝٣ ﴾[الطلاق: ٢، ٣].

والله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شئ قدراً، لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ، ومن خاف أحد غير الله إلا لنقص خوفه من الله عز وجل. فاستعيذوا بالله واعتصموا بحبله المتين، واقرءوا دائماً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق: ١ - ٥].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦ ﴾[الناس: ١-٦].

والله أعلم بمراده.

فائدة: عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد، والمعوذتين، ثم مسح بها ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً»(١).

نسأل الله أن يؤيدنا بروح منه وأن يكلأنا بعنايته ورعايته، وأعوذ بالله بهاتين السورتين، وبجميع كلمات الله التامات، وألوذ بكنفه وجنابة وكنف رحمته الشاملة العامة، من ... . بالله من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

(١) رواه أهل السنة.

رقية جبريل عليه السلام

وهى نافعة لإبطال كل أنواع السحر والبرء منه وللعين من الحسد: فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه «أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم. فقال جبريل عليه السلام: بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسدٍ الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

* بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات).

(١) رواه أهل السنة.

الفصل الرابع

وتمضى الحياة برسول الله ﷺ وهو قائم على أمر ربه يبلغ رسالته، لايعبأ بما يلاقيه، والمؤمنون به، من قومه، حيث آذوه حاولوا التشكيك فى رسالته، فقد سألوه. . . أسئلة المتعنتين المتمردين، سألوه عن الروح، وعن الساعة، وعن أصحاب الكهف، وعن حقيقة عددهم، فكان أمر الله له.

الدعاء السادس

﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤] يقول المفسرون فى أسباب نزول هذه الآية قالت اليهود لقريش سلوا محمداً عن حقيقة الروح، وعن قصة أصحاب الكهف، وعن ذى القرنين، فاستجابت قريش لرغبة اليهود وتوجهوا إلى الرسول ﷺ بالسؤال، فردّ المصطفى عليهم قائلا «ائتونى غدا لأخبركم» ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى حتى شق عليه ذلك، لأن قريشا كذبته وكان سؤالهم ذلك تعنتا فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾[الكهف: ٢٣] وفى هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شئ ليفعله فى المستقبل أن يرد إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب، كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أنه قال: « قال سليمان ابن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على سبعين امرأة – وفى رواية مائة امرأة – تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل فى سبيل الله، فقيل له – وفى رواية قال له الملك : قل إن شاء الله – فلم يقل فطاف بيهن فلم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان، فقال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته» «وفى رواية ولقاتلوا فى سبيل الله فرساناً أجمعين»

والاستثناء من النهى أى ولا تقولن لأجل شئ تعزم عليه إنى فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله، إلا ملتبساً بمشيئته قائلاً إن شاء الله أولاً وقت أن يشاء

الله أن تقوله بمعنى أن يأذن الله لك فيه، ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهى ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ مشيئة ربك وقل إن شاء الله. كما روى أنه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام: « إن شاء الله ». ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ إذ فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته ولو بعد سنة ما لم يحنث، ولذلك جوّز تأخير الاستثناء عنه. وعامة الفقهاء على خلافه لأنه لو صح ذلك لم يتقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولا بيع ولاشراء، ولم يعُلم صدق ولا كذب[1].

وليس فى الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه، ويجوز أن يكون المعنى (واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء) مبالغة فى الحث عليه، أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك ،أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي﴾ يدلنى ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ لأقرب رشداً وأظهر دلالة على أنى نبى من نبأ أصحاب الكهف، وقد استجاب الله دعاؤه ﷺ لأعظم من ذلك حيث أخبره تعالى بقصص الأنبياء المتباعدة أيامهم، فأخبره بالغيوب والحوادث النازلة فى الأزمان المقبلة إلى قيام الساعة، فكان ذلك رشداً للناس، ودلالة قوية من الدلالات الناصعة المثبة لنبوته ﷺ لأنها قامت على الإخبار بالماضى الذى لم يكن لدى رسول الله ﷺ علم به إلا عن طريق رسالته... والله أعلم

ويشتد الأذى برسول الله فيرفع أكف الضراعة إلى مولاه قائلا بأمره :

الدعاء السابع

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾[الإسراء: ٨٠][2].

(١) البيضاوى ٢/ ٩.

(٢) والميم قد تضم وتفتح فى المدخل والمخرج والإضافة فيهما للبيان أو من إضافة الموصوف لصفته.

أسباب النزول:

لمكان نزول هذه الآية دخل كبير فى فهم نصوصها: فقد ذهب الإمام البيضاوى[1] فى تفسيره إلى القول بأن سورة الإسراء كلها مكية.. وعلى هذا الرأى تكون هذه الآية نزلت قبل الهجرة وقبل دخول المصطفى المدينة وعليه فلا إشكال فيها...

ومع ملاحظة هذا الاعتبار نرى أن نظم هذه الآية لم يجر على الوجه المعتاد لأن خروجه ﷺ من مكة كان قبل دخوله المدينة.. ولعل القرآن سلك هذا المسلك لأن الدخول إلى المدينة هو المقصود من سياق الآية والمهتم بشأنه دون الخروج من مكة. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية مدنية لقولهم بأن سورة الاسراء كلها مكية إلا ثمانى آيات آخرها هذه الآية ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾
[الإسراء: ٨٠]

ومن القائلين بهذا الرأى الجلال السيوطى[2] غير أنه ذكر رأيه هذا بلفظ التحريض.. وهذا الرأى وإن كان ضعيفا إلا أنه يمكن قبوله على أن معنى الآية نزل بمكة ولفظها نزل بالمدينة...

وفى هذه الآية ثلاثة مباحث:

(١) ما المراد بالصدق؟

(٢) ما المراد بالدخول والخروج؟

(٣) ما المراد بالسلطان؟

لعل المراد بالصدق فى الآية هو رضى الله تعالى: أى أدخلنى دخولا مرضيا وأخرجنى خروجا مرضيا، لأن الصدق إذا وصف به غير العقلاء كما فى هذه الآية أريد به الرضا...

---

(١) تفسير البيضاوى ١/ ٥٦٣، ١/ ٥٨٠.

(٢) تفسير الجلالين جـ ١٥/ ٢٩٠.

ولقد ذهب سادتنا العلماء فى حقيقة المراد من الدخول والخروج مذاهب شتى نذكر منها ما يلى:

القبر ، الغار ، النبوة ، الطاعة ، المدينة.

والذى نميل إليه ونرجِّحه هو كون الدخول والخروج عاما فى كل ما يدخله ﷺ ويلابسه من أمر أو مكان.. ولا يمنع من هذا ملابسه نزول الآية لخروج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كما أن تعميمها أفضل وأولى من تخصيصها، لأن الدخول والخروج اللذان نزلت الآية بسببهما يدخلان دخولا أوليا حيث يندرج الخاص فى العام..

أما حقيقة «السلطان» فقد ذهب المفسرون فيه إلى آراء أهمها ما يلى:

ذهب البعض إلى أن المراد من السلطان، هو الحجة البينة..

وذهب البعض إلى أن المراد من السلطان، هو الملك القوى الذى ينتصر به على الأعداء..

وذهب آخرون إلى أن المراد من السلطان هو العزّ الظاهر الذى يظهر بمقتضاه دين الله والإسلام..

ولذلك صح أن يكون نصيرا بمعنى الفاعل أو المفعول أى سلطانا ناصرا أو منصورا.. فالله تعالى يأمر نبيه محمدا أن يطلب منه أن يخرجه من مكة خروجا يرضاه وأن يدخله المدينة دخولا يرضاه وكذلك فى كل دخول وخروج، كما أمره أن يطلب منه القوة والعزة والسلطان وأن يمنحه النصر على الأعداء..

ونلاحظ أن هذه الآية قد سبقت بما يعتبر مؤشرا لظرف هذا الدعاء ومثله حيث يقول الله تعالى قبلها :

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)﴾

[الإسراء: ٧٨، ٧٩]

فالله يأمره أن يقيم الصلاة، وأن يقرأ القرآن، وأن يتهجد بالليل والناس نيام، ثم يأمره فى سياق أوامره هذه أن يدعوه بهذا الدعاء ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ ولعل فى هذا السياق إشارة إلهية لمحمد بأن هجرته ستكون فى خفاء ويكون معظم خطواته ليلا تسترا من أعين الرقباء والأعداء، كما أن فيه إشارة أخرى بأن جوف الليل هو أفضل الأوقات للمناجاة، كما أن فيه إشارة ثالثة إلى أن خير الأعمال ما كان مقرونا بالالتجاء إلى الله والتضّرع إليه والدعاء، وهذا تعليم منه ﷺ لأُمته.

وقد استجاب الله تعالى دعاءه هذا الذى علمه إياه، وأمره حيث وعده لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له، ويظهر دينه على الأديان كلها لأن حزب الله هم الغالبون، وقد تمَّ كل ما وعد الله به رسوله ﷺ.

وتنتهى آيات الدعاء المحمدى المأمور بها من الله تعالى والمصدّرة بلفظ «قل» بهذا الدعاء:

الدعاء الثامن

﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

لقد سبقت هذه الآية الكريمة بما يفيد تهديد المشركين الذين يدعون مع الله إلها آخر من غير دليل يستندون إليه فيما ذهبوا إليه من سخف القول وسوء الظن وقبح الاعتقاد وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

أى دع يا محمد أمر هؤلاء الذين يشركون بى من غير دليل ناصع ولا برهان قاطع ولاتعرهم اهتمامك، لأن حسابهم عندى ومرجعهم إلى وسوف يلقون الجزاء الرادع على جسارتهم هذه وكفرهم بى..

ثم أمره تعالى أن يطلب منه المغفرة والرحمة، وعساه أن يكون قد ألم بما لا

يليق بعصمته وبرسالته كفعله لغير الأفضل والأولى اجتهادا منه مثلما عَبسَ فى وجه عبد الله بن أم مكتوم. . .

كما يطلب منه جل عُلاه أن يطلب المغفرة والرحمة لسائر المؤمنين سواء كانوا مذنبين أم لا، لإطلاق المغفرة والرحمة من المفعول ونلاحظ فى هذه الآية أمورا:

أولا : أنه ذكر فيها لفظ «الرب» الدال على الربوبية والتربية المقتضيان للمغفرة والرحمة والعفو والشفقة. .

ثانيا: هذا الأمر الإلهى لنبيه محمد بطلب المغفرة والرحمة يؤذن بمكانتهما عند الله تعالى. . كما يؤذن أيضا بحاجة البشرية القصوى إليهما. . كما يتضح أنهما من الأمور الدينية الهامة خصوصا وأن المأمور بهما هو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه؟

ثالثا: غالبا ما تقترن الرحمة بالمغفرة ففى سورة الحجر ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩]، وفى سورة الأنعام ﴿**إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأنعام: ١٦٥] ولكن ما العلة لاقترانهما؟. . وما الحكمة من تقديم المغفرة على الرحمة؟ نوجز الإجابة عن هذين الاستفسارين فيما يلى:

أولا: لعل اقترانهما مظهر من مظاهر فضل الله تعالى على البشرية وخاصة من آمن بالله منهم إذ الناس بين مطيع ومذنب ولا ثالث لهما، فالمغفرة خاصة بالمذنب والرحمة تشمله والمطيع معا. .

فذكر المغفرة مع الرحمة يدل على سعة شفقة الله بعباده ومدى استيعاب مغفرته ورحمته لكل الخلق، ومن أجل هذا اقترنتا ليطمئن الله تعالى عباده على مستقبلهم ويخبرهم بأن باب التوبة مفتوح دائما فعليهم أن يجلوه فور اقترافهم ما يوجب سخطه عليهم، وعلى المؤمنين الصالحين أن يطلبوا الرحمة فالشقى هو المحروم طلبها ولو ادعى الولاية والزهد. .

ثانيا: أن المغفرة فيها تخلية من المعاصى والذنوب لذا قُدِّمت. . والرحمة

فيها تحلية بالنعم المسداة للعباد فلذلك أُخرَّت - كما أن تقديم المغفرة لخصوصها وتأخير الرحمة لعمومها، لأن بين الغفران والرحمة عموم وخصوص وجهى، يجتمعا فى المؤمن العاصى حيث يغفر الله له ذلته ثم يمن عليه من نعمائه ما به يكون مرحوما..

وينفرد الغفران فى المذنب العاصى.. وتنفرد الرحمة فى المؤمن غير المذنب.. فالمغفرة عفو وصفح عن المذنب وستر له وعدم المؤاخذة عليه، ورفع للعقوبة عن مرتكبه.. والرحمة إيصال للخير والإحسان إلى جميع العباد والمخلوقات العاقلة وغير العاقلة.. ولعل التذييل بقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

لإشعار الإنسان بأن رحمة الله قريب من المحسنين وغيرهم وأنها وسعت كل شىء من إنسان وحيوان وطير وغير ذلك..

كما أن فيها تعليما لمن يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء أنه ينبغى عليهم أن يزينوا دعاءهم بالثناء على الله تعالى كلما سنحت الظروف سواء كان هذا الثناء فى صدر الدعاء أو وسطه أو آخره ليكون الدعاء أولى عند الله تعالى بالقبول..

ولعل التذييل أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] لتقع المقابلة بين أول السورة وآخرها حيث أثبت الله تعالى فى أول السورة الفلاح والفوز لعباده المؤمنين.. ونفى الله تعالى فى آخر السورة الفلاح والفوز عن المشركين الكافرين..

وهذا النهج فى صدر السورة وعجزها يحمل المؤمنين على التحلّى والالتزام بالصفات التى استوجبت فلاحهم ونجاحهم وعزهم ونصرهم..

وليتجنبوا أيضا الصفات التى استوجبت عدم فلاح الكافرين الملحدين.. والمتتبع لآيات الدعاء فى القرآن الكريم خصوصا ما ورد منها على ألسنة الرسل والصالحين، يجدها على هذا النمط من مزج المدح والثناء والتحميد والتقديس والتكبير بالدعاء سواء كان بين يديه أو فى وسطه أو آخره وذلك ليكون عند الله مقبولا مرضيا..

الفصل الخامس

الادعية الصادرة عن ذات رسول الله ﷺ

اشتمل هذا القسم على ثلاثة أدعية لرسول الله ﷺ.

المبحث الاول

الدعاء الاول

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢]

هذه آخر آية من سورة الأنبياء، والسورة مكية.

صلة الآية بما قبلها:

هذه الآية تقع بين الآيات التى تحدثت عن الرسالة والتوحيد والإيذان بالعذاب فى الدنيا والتى أولها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

وبين ما ينتظره العالم فى نهاية مطافه من زلزلة شديدة تضع بسببها كل ذات حمل حملها، ويكون الناس سُكارى وما هم فى الحقيقة كذلك ولكن عذاب الله شديد وذلك هو المشار إليه فى أول سورة الحج..

ففى وسط هذه المعانى الزاخرة بها تلكم الآيات سالفة الذكر ينبرى رسول الله ﷺ مستنجدا بربه ليضع له حدا فاصلا لباطلهم ونهاية لطغيانهم فيقول:

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢].

فيصدر تضرُّعه بلفظ الربوبية الدال على كمال العبودية والمطمئن على عظم الرحمة الإلهية.

وهنا يلوح لنا سؤال هو:

كيف ساغ لرسول الله محمد أن يقول لربه «احكم بالحق» وهو يعلم أن حكم الله حق لا مراء فيه.. كما أنه كيف ساغ أيضا أن يكون هذا الدعاء مشتركا بين الأنبياء وواردا على ألسنتهم، ومما يدل على نطق الرسل به ما قاله الجمل فى تفسيره من أن سعيد بن جبير روى عن قتادة أنه قال كانت الأنبياء تقول: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وحاشا للرسل وإمامهم المصطفى أن يكونوا شاكين فى حكم الله تعالى حتى يطلبوا منه تعالى أن يحكم بالحق - يؤيد هذا قول أبى عبيدة رضى الله عنه «أن الصفة هنا أقيمت مقام الموصوف»..

وعليه يكون التقدير «رب احكم بحكمك الحق» أى الموصوف بالحق والعدل دائما أبداً.. ولهذا كان الرسول ﷺ يردد هذه الآية عند لقاء الأعداء وهو يعلم علم اليقين أنه على الحق وأن عدوّه على الباطل وأن حكم الله تعالى هو الحق بعينه والعدل بذاته..

هل هذا الدعاء مما أمر الله نبيّه ﷺ ؟

وصيغة هذا الدعاء خبرية ولكن مارواه الجمل فى تفسيره من أن سعيد بن جبير روى عن قتاده أنه قال كانت الأنبياء تقول: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ يفيد بأن هذا الدعاء قد أمرت الرسل بترديده قبل المصطفى..

وهذا الأمر إما أنه جاء على صورة الوحى المنامى أو اليقظى فإذا كان الثانى كانت الآية خبرية لفظا إنشائية معنى، وقصد بهذا العدول تأكيد المعنى وتثبيته وذلك كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وبناء على ذلك يكون المولى جل شأنه قد علّم نبيه أن يقول عند لقاء الأعداء وعند اشتداد الأزمات وبينه وبين قومه ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

وعلّمه أيضا أن يقول مثنيا على الله ومهددا للكفار قائلا: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: ١١٢] من الشرك والكذب.. وفى هذه

العبارة ما يفيد طلب القوة والمدد الإلهى والعون الربانى لأنه تعالى خير مستعان على النصرة، خصوصا كفار مكة الذين كذبوا حين قالوا: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] . . وكذبوا على عقولهم ومجتمعهم حين قالوا عن الرسول انه ساحر وافتروا على القرآن حين وصفوه بأنه شعر وأساطير الأولين. .

كما أنهم ظنوا أن الإسلام ستخفق رايته وأن الشوكة ستكون لهم والدولة وأن ما توعدهم الله به فى قرآنه على لسان رسوله محمد لو كان حقا لنزل بساحتهم. .

وكأنى بهذه الآية يشير لسان حالها إلى أن الرسول يقول لربه يارب لاتحابهم، بل شدّد وطأتك عليهم فهذا جزاؤهم. .

ولقد استجاب الله دعاءه وحكم بينه وبينهم بالحق فخيّب آمالهم وشتت شملهم وهزمهم شر هزيمة فى غزوتى بدر والأحزاب وغيرها. .

المبحث الثانى

الدعاء الثانى

وهو دعاء تعريضى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[الفرقان: ٣٠].

لقد أوذى رسول الله ﷺ فى ذاته ورسالته وفى أهله وصحبه والمؤمنين به فتجمّل بالصبر على ما أصابه من هؤلاء الجفاء الغلاظ الذين لم تعرف الرحمة إلى قلوب الكثير منهم طريقا. .

لقد تحلى بما يجب أن يتحلى به صاحب دعوة أو رسالة بل كان إمام الدُّعاة جميعا وقدوتهم التى أضحت خير ما يؤتسى بها ويحتذى، وكان كلما وافاه جبريل وأخبره بأن تعذيبهم منوط بأمره وإشارته كان يدعو الله قائلا «اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون». .

ولقد كان جام غضبهم وعظيم سخطهم على القرآن الكريم الذى لم يستطيعوا محاكاته ولو فى أقصر سوره. لقد زعموه سحرا وشعرا وأساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . .

ولما لم يصلوا إلى هدفهم فيه أعرضوا عنه وهجروه وكان هذا من أعظم ما آلم النبى ﷺ. . لذلك بث شكواه إلى ربه ورفع آلامه إلى مرسله من جراء جرأتهم هذه وتجاسرهم على ذلك فقال : ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾[الفرقان: ٣٠].

وسبقت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً ﴾[الفرقان: ٢١].

لقد طلب مشركو مكة من الرسول ﷺ أن ينزل عليهم ملائكة، أو يريهم ربهم لقد طلبوا ذلك عتوا وتعنتا وبعدا فى تكذيب الرسول فى رسالته، ولما كان أقوى الأدلة وأنصعها وأدومها على مر السنين والأعوام على صدقه فى دعواه الرسالة «هو القرآن الكريم» تركوه وهجروه وأعرضوا عنه غير مؤمنين به ولا معترفين بفضله ولا مستمعين إليه استماع تفهم وتدبر واتعاظ. .

وهذه الآية وإن كان ظاهرها الخبر إلا أن حقيقتها الطلب والدعاء على قريش لأن بث شكوى الرسل والأنبياء إلى الله، ما هو إلا التجاء إليه تعالى وطلب النصرة منه على أقوامهم بتعذيبهم. .

وكأن الرسول يقول يارب عاقب هؤلاء المشركين لهجرهم كتابك الكريم ولعل العدول عن صيغة الإنشاء إلى صيغة الخبر. . وكذلك العدول عن التصريح بالدعاء إلى بث الشكوى. . للإشعار بأن الرسول محمدا ليس على قومه وإن حدث منه ذلك فهو على سبيل الندرة يؤيد هذا قول الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١٢٨].

ومن عجب أنك ترى أن بعض المفسرين يذهبون إلى القول أن مقالة الرسول هذه إنما ستكون فى الآخرة وليس ذلك بمستساغ، «لأن هجر مشركى مكة للقرآن وبث الشكوى وطلب النجدة من الله تعالى إنما مجاله الدنيا لا الآخرة، يدل على هذا الآيات الواقعة بين قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١] وبين قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠] كما يدعم هذا أيضا ما قاله أبو السعود فى تفسيره من أن إيراد الرسول ﷺ بعنوان الرسالة لتحقيق الحق. ومن لطائف هذه الآية الكريمة أنها تنبيه للمؤمنين بأن يتعهدوا القرآن الكريم كثيراً حتى لايندرجوا تحت هذه الآية، وحتى لايكونوا مع الذين هجروا القرآن ولم يعلموا بأحكامه ولقد روى الجمل فى تفسيره أن رسول الله ﷺ قال : «من تعلّم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه يوم القيامة جاء متعلقاً به يقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجوراً اقض بينى وبينه».

المبحث الثالث

الدعاء الثالث

﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[الزخرف: ٨٨، ٨٩].

هذه آخر آية من سورة الزخرف، والسورة مكية، أى وقول محمد ﷺ فى شكواه إلى ربه من قومه الذين كذبوه: فقال يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كما أخبر تعالى فى الآية الأخرى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴿٣٠﴾﴾ وهذا الذى قلناه هو قول ابن مسعود رضى الله عنه ومجاهد وعليه فسَّر ابن جرير، قال البخارى وقرأ عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه «وقال الرسول يارب» وقال مجاهد فى قوله ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الزخرف: ٨٨] قال يؤثر الله عز وجل قول محمد ﷺ، وقال

قتاده: هو قول نبيكم ﷺ يشكو قومه إلى ربه عز وجل ثم حكى ابن جرير فى قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ﴾ قراءتين إحدهما النصب ولها توجيهان: أحدهما أنه معطوف على قوله تبارك وتعالى: ﴿نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ [الزخرف: ٨٠] والثانى أن يقدر فعل وقال قيله.

والثانية: الخفض وقيله عطفا على قوله ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥] تقديره وعلم قيله. وقوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٩] أى المشركين ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ أى لاتجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيىء، ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلا وقولا ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩] هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا أحل بهم بأسه الذى لايُردّ وأعلى دينه وكلمته وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وانتشر الإسلام فى المشارق والمغارب والله أعلم.

الفصل السادس

أمر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار

الاستغفار هو طلب المغفرة من الله تعالى بأن يتجاوز عن الذنب فلا يعاقب عليه، وهو من أسمى العبادات، وأرفع الطاعات، وأعظم الدعاء لأنه اعتراف بجلال الله وكماله، وإقرار بوحدانيته وربوبيته التامة الشاملة، والاستغفار أمر الله به العباد، وحث عليه الرسل، فهو زاد الصالحين، ومواريث المؤمنين وذلك شعارهم مصبحين، وشعارهم ممسين وهم مع الله فى كل وقت وحين، ولذا فقد دعا القرآن الكريم والسُّنة المطهرة المسلمين للتحلّى به ومزاولته، ومما أُثر عن الإمام الرازى قوله: إن الاستغفار فيه رؤية قصور النفس، وفيه رؤية وجود الحق، وفيه طلب لما هو الأصلح والأكمل للنفس.

والاستغفار الذى أمر الله تعالى به رسوله محمد ﷺ ثلاثة أنواع:

١- استغفاره ﷺ لنفسه.

٢- استغفاره ﷺ لغيره.

٣- استغفاره لنفسه وللمؤمنين.

المبحث الأول
الاستغفار الأول

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاستغفار لنفسه (فى سورة النساء وغافر والنصر).

فى سورة النساء أنزل الله سبحانه وتعالى اثنى عشرة آية أولهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [النساء : ١٠٥] وآخرها قوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥] الآية، والذى نحن بصدد إيضاحه

من هذه الآيات هو قوله الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ١٠٦].

أسباب النزول :

روى أن رجلا من الأنصار يُقال له «طعمه بن أبيرق» من بنى ظفر، سرق درعا من جاره قتاده بن النعمان فى جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، فخبأها عند «زيد بن السمين» اليهودى، فالتُمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودى فأخذوها فقال: دفعها إلىّ طُعْمة وشهد له ناس من اليهود، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودى، فهمّ رسول الله ﷺ أن يفعل فنزلت الآية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ...﴾، وهرب طعمة إلى مكة وارتدّ، ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله[1].

التفسير:

نزلت الآيات المبتدأة بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ والمختتمة بقوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ فأبانت عظمة القرآن، وأمرت النبى ﷺ أن يحكم بين الناس بما أعلمه الله وأوحى به إليه، وأن يستغفر الله مماهمّ به من الدفاع عن طُعْمة اطمئنانا لشهادة قومه بصلاحه ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء: ١٠٦] أى مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يستغفره، وأن يتذكر نعم الله وفضله عليه بالنبوّة، ورحمته بالعصمة، ولولا ذلك لهمّت جماعة منهم أن يضلوه عن الحق، وذلك حين سألوا الرسول ﷺ أن يبرىء صاحبهم «طعمة» من التهمة ويلحقها باليهودى، فتفضّل الله عز وجل على رسوله بأن أطلعه على الحقيقة، وعلّمه مالم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما.

كما أبانت الآيات أن الله محيط بكل ما يصدر عن الذين يستخفون من الناس دونه، وأن المجرمين الذين يجدون من يدافع عنهم فى الدنيا لايتيسر لهم

---

(١) أبو السعود : ١/ ٣٨٠.

ذلك فى الآخرة، وأن الذين يجادلون الله ورسوله سيصلون جهنم التى هى مصيرهم وأن باب التوبة مفتوح لمن ظلم نفسه، وأن من ارتكب إثما أو رمى به بريئاً فإن نتيجة ذلك راجع إليه، وأن مجامع الخير فى الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، ولاخير فيما يتناجى به الخلق سوى هذه الثلاثة.

وأمر اللّه تعالى لرسوله ﷺ بالاستغفار لنفسه إنما هو لترك الأولى والأفضل، وهو كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهو صلوات الله وسلامه عليه وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنب منه فلم يخل ذلك بمنصبه ولا قدح فى مرتبته، بل قد تداركه ربه بعفوه فزال به تقصيره، ثم اجتباه وهداه، ومدحه وزكّاه، واختاره واصطفاه ﷺ.

المبحث الثانى
الاستغفار الثانى

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾[غافر: ٥٥].

بعد أن بيّن الله فى الآيات السابقة أنه ينصر رسله والمؤمنين بهم، وضرب المثال فى ذلك بحال موسى، خاطب بعده رسوله بقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ والمراد أن الله ناصرك كما نصرهم، ومنجز وعده لك كما أنجزه فى حقهم[٢] ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أى واطلب المغفرة من ربك على ما فرط منك فى ترك الأولى والأفضل، قال الصاوى: والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك، وإلا فرسول الله ﷺ معصوم من الذنوب جميعا، صغائر وكبائر، قبل النبوة وبعدها على التحقيق[٣] وقال ابن كثير: وهذا تهييج للأمة على الاستغفار[٣].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ أى ودُم على تسبيح ربك فى المساء والصباح. قال الرازى: والمراد منه الأمر بالمواظبة على ذكر الله، وألا يفتر اللسان عنه، حتى يصبح فى زمرة الملائكة الأبرار والمشار إليه فى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

---

(١) التفسير الكبير: ٢٧/٧٧. (٢) حاشية الصاوى: ٤/١١.

(٣) مختصر ابن كثير: ٣/٢٤٨.

المبحث الثالث

الاستغفار الثالث

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[النصر: ١-٣] .

التفسير:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ يذكّره ربه بالنعمة والفضل عليه وعلى سائر المؤمنين، والمعنى: تذكر يا محمد إذا جاءك النصر من عند الله على أعدائك، وفتح مكة أم القرى، وقال المفسّرون: الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه إخبار بالغيب، فهو من أظهر الدلائل على صدق نبوته عليه أفضل الصلاة والسلام، وبهذا الفتح المبين دخل الناس فى دين الله، وارتفعت راية الإسلام، واضمحلت ملة الأصنام، وتقلمت أظافر الشرك والضلال، وانتشر الإسلام فى الجزيرة العربية ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أى ورأيت العرب يدخلون فى الإسلام جماعات من غير حرب ولا قتال، وذلك بعد فتح مكة، فصارت العرب تأتى من أقطار الأرض طائعة، قال ابن كثير: إن أحياء العرب كانت قبل فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبى، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيمانا، ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام[1] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أى فسبحّ ربك وعظّمه ملتبسا بحمده على هذه النعم، واشكره على ما أولاك من النصر على الأعداء، وفتح البلاد، وإسلام العباد ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ أى واطلب منه المغفرة لك ولأُمتك.

(١) مختصر ابن كثير: ٣/ ٦٨٧. وقال القرطبى: و«إذا» بمعنى قد: أى قد جاء نصر الله، لأن نزولها بعد الفتح.

وللمفسّرين فى ذلك أقوال:

* إما أن يكون استغفار الرسول هذا جار مجرى التسبيح.

* وإما أن يكون الله تعالى تعبّد نبيّه ﷺ ليقتدى به غيره حيث لايخلو مكلّف من التقصير.

* وإما أن يكون استغفار النبى ﷺ عن تركه الأولى والأفضل فى بعض الأحيان وهو كما سبق أن قلنا حسنات الأبرار سيئات المقربين.

* وإما أن يكون استغفار النبى ﷺ عن شكره لربه حيث يرى نفسه مقصّرا فى مقابل نعم الله تعالى عليه.

* مراتب السير إلى الله تعالى غير متناهية، فاستغفاره ﷺ إنما أُريد به محض التعبد، وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أن فى المقام حذفا، والتقدير «استغفر الله لأمتك».

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ إنه جل وعلا كثير التوبة، عظيم الرحمة لعباده المؤمنين.

البلاغة:

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلى:

١- ذكر الخاص بعد العام ﴿نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ نصر الله يشمل جميع الفتوحات معطوف عليه (فتح مكة) تعظيما لشأن هذا الفتح واعتناءً بأمره.

٢- إطلاق العموم وإرادة الخصوص ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ لفظ الناس عام والمراد به العرب.

٣- دين الله هو الإسلام ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ وأضافه إليه تشريفا وتعظيما، كبيت الله ، وناقة الله.

٤- علّة تأخير الاستغفار:

الاستغفار هو توبة إلى الله رجاء محو الذنب، وكان الأولى أن يُذكر أولا

ثم يليه الحمد وهو الشكر على قبول التوبة والعفو عن الذنب، ثم يليه التسبيح وهو التنزيه المثبت للوحدانية الكاملة فى كل شىء، فلماذا عدلت الآية عن هذا إلى ذكر التسبيح ثم الحمد ثم الاستغفار . .

يمكن الإجابة عن ذلك بما يلى:

* بدأت الآية بالأشرف فالأشرف نزولا.

* إذا اعتبر العبد أن تسبيحه وتحميده مقابلان لجلال الله تعالى وعزّته صار ذلك عين الذنب فوجب الاستغفار منه.

* قدّم التسبيح والحمد لأنهما يشيران إلى عظمة الله وقدسيته، وأخّر الاستغفار لأن فيه الإشارة إلى شفقة الله على خلقه، وكأن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: يا محمد سبِّح بحمدى واستغفرنى واعتقد أنهما صادران منك بتوفيقى لك وإحسانى عليك، فلا تكن كالملائكة القائلين: نحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ظنا منهم أنهم رأوا ذلك من أنفسهم.

وكأن الآية تعنى أيضا: يا محمد إذا خطر ببالك لم سلّط الله عليك الكفار، ولم أخر عنك النصر مع أنك على الحق، إذا خطر بك هذا الخاطر فأسرع إلى التسبيح والتنزيه، وقل يا إلهى إنك منزه عن أن يستحق أحد عليك شيئا، واستغفر أيضا يا محمد لمن دخلوا فى دين الله أفواجا كالملائكة الذين يستغفرون للذين آمنوا قائلين ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ۝٧﴾ [غافر: ٧] أما نوعية الأمر فى التسبيح والحمد والاستغفار، فقد اختلف العلماء فيه: والفقهاء يقولون كعادتهم أن الأمر المطلق يفيد الوجوب كما هو هنا، وغيرهم يقولون إن الأمر المطلق يفيد الندب، غير أن الأمر هنا للوجوب بقرينة العطف لأن الاستغفار واجب .

٥- صيغة المبالغة ﴿**إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ لأن صيغة «فعال» للمبالغة.

تنبيه: هذه السورة الكريمة فيها نعى النبى ﷺ ولهذا تسمى سورة «التوديع» وحين نزلت قال رسول الله ﷺ لعائشة : ما أراه إلا حضور أجلى، وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى فى حجة الوداع، ثم نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة : ٣] الآية فعاش بعدهما النبى ﷺ ثمانين يوما[(١)] وروى الإمام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه، فقال: لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه من علمتم !! فدعانى ذات يوم فأدخلنى معهم- قال فما رأيت أنه دعانى إلا ليريهم - فقال عمر : ماتقولون فى قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا بأن نحمد الله ونستغفره إذ نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لى: أكذا تقول يا ابن عباس؟ قلت: لا، قال : فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تقول»[(٢)].

(١) القرطبى : ٢/ ٢٣٣.

(٢) جمع الفوائد وأعذب الموارد: ٢/ ٢٨٥

الفصل السابع

استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لغيره

استغفار النبى ﷺ لغيره ورد فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع: سورة آل عمران والنور والممتحنة، ولا يكون ذلك إلا للمؤمنين والمؤمنات.

المبحث الأول
الاستغفار الأول

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

المناسبة:

هذه الآيات وما سبقها تتحدث عن غزوة أحد فقد ذكر الله تعالى فيما سبق انهزام المسلمين بسبب ترك الرُّماة لأماكنهم بالجبل، بعد أن أمرهم رسول الله ﷺ أن يثبتوا فى أماكنهم حتى لايأتيهم العدو من قبلهم، فلما رأى الرماة هزيمة المشركين انشغلوا بجمع الغنائم وتركوا مواقعهم فوق أُحد، فانتهزها خالد ابن الوليد وأبوسفيان بن حرب وطوّقوا المسلمين، وأصلوا السيف فيهم وحاقت بهم الهزيمة، وكان ما أصيبوا به من غم واضطراب، فأرشدهم الله إلى موطن الداء ووصف لهم الدواء.

وفى هذه الآيات الكريمة إشادة بالقيادة الحكيمة لرسول الله ﷺ، فمع مخالفة بعض الصحابة لأوامره فقد وسعهم ﷺ بخُلقُه الكريم وقلبه الرحيم، ولم يخاطبهم بالغلظة والشدة وإنما خاطبهم بالعطف واللين. ولذلك اجتمعت القلوب حول دعوته، وتوحدت تحت قيادته.

اللغة:

(فظا) الفظ: الغليظ الجافى، قال الواحدى: هو الغليظ سيىء الخلق، قال الشاعر:

أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ   وكنت أخشى عليها من أذى الكلم

(غليظ القلب) هو الذى لايتأثر قلبه ولايرق، ومن ذلك قول الشاعر:

يُبكى علينا ولانبكى على أحد؟   لنحن أغلظ أكباداً من الإبل[1]

(انفضُّوا) تفرقوا وأصل الفض الكسر ومنه قولهم: لا يفض الله فاك.

التفسير:

﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ أى فبسبب رحمة من الله أودعها فى قلبك يا محمد كنت ليّن الجانب مع أصحابك مع أنهم خالفوا أمرك وعصوك ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ والفظ الغليظ الكلام الجافى، أى لو كنت سيىء الكلام جافى الطبع قاسى القلب تعاملهم بالغلظة والجفاء، لتفرقوا عنك ونفروا منك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وآلان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم، ولما كانت الفظاظة فى الكلام، نفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه، كما قال عبد الله بن عمرو: إنى أرى صفة رسول الله ﷺ فى الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ، ولاصخّاب فى الأسواق، ولايجزى السيئة، ولكن يعفو ويصفح ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ**﴾ قال الكشاف: فاعف عنهم، فيما يتعلق بحقك، أى تجاوز عما نالك من أذاهم يا محمد، والعفو هو الصفح وعدم المؤاخذة، ولقد عفا الله عنهم، وأخبر بذلك فيما سبق من الآيات ﴿**وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ**﴾ أى صفح عنكم مع العصيان، وفيه إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم، لولا عفو الله عنهم ولهذا قال: ﴿**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران: ١٥٢] أى ذو نعمة على المؤمنين فى جميع الأوقات والأحوال،

(١) البحر المحيط: ٣/ ٨١.

ثم أمر الله رسوله أن يعفوا ويصفح عن صحابته المؤمنين تخلّقا بأخلاق الله كما قال ﷺ «تخلقوا بأخلاق الله» وظاهر الأمر هنا للوجوب، والفاء للتعقيب ليدل ذلك على كمال الرحمة الإلهية ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ قال الكشاف فى تفسيره: استغفر لهم فيما يتعلق بحق الله تعالى، لهؤلاء الرُّماة الذين تركوا الجبل ونسوا نصيحتك، فلم يكن ذلك منهم تمرّداً على أمر رسول الله ﷺ، وإنما أخطأوا فى اجتهادهم لأن هؤلاء الرُّماه غلب على ظنهم وهم يرون إخوانهم يجمعون الأسلاب والغنائم أن المعركة قد انتهت لصالح إخوانهم المسلمين، ففعلوا ما فعلوا ولم يدر بخلدهم ما حدث، فكان ابتلاء الله لهم وهزيمتهم فى أُحد، ثم عفا الله عنهم ورسوله، واستغفر لهم الرسول وكان فضل الله على المؤمنين عظيما..

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أى وشاورهم فى جميع أمورك ليقتدى بك الناس قال الحسن: «ما شاور قوم قط إلا هُدوا لأرشد أمورهم» وكان عليه السلام كثير المشاورة لأصحابه ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ﴾ بعد الاستشارة فاعتمد على الله، وفوّض أمرك إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أى يحب المعتمدين عليه، والمفوّضين أمورهم إليه.

المبحث الثانى

الاستغفار الثانى

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٦٢].

أسباب النزول:

قال المفسرون: نزلت هذه الآية فى وقت حفر الخندق، فإن بعض المؤمنين

كانوا يستأذنون فى الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان فنزلت تمدح المؤمنين الخالصين، وتعرّض بذم المنافقين.

التفسير:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أى إنما المؤمنون الكاملون فى الإيمان الذين صدّقوا الله ورسوله تصديقا جازما لايخالجه شك ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أى وإذا كانوا مع الرسول فى أمر هام فيه مصلحة للمسلمين ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ أى لم يتركوا مجلسه حتى يستأذنوه فيأذن لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذا توكيد لما تقدم ذكره تفخيما وتعظيما لشأن الرسول ﷺ، أى إن الذين يستأذنوك يا محمد أولئك هم المؤمنون حقا. قال الصاوى: أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ فإن جعل المستأذنين هم المؤمنين عكس الأسلوب الأول، وفيه تأكيد للأول بذكر لفظ الله ورسوله فيكون مصداقا ودليلا على صحة الإيمان[1] ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أى فإذا استأذنك بعض هؤلاء المؤمنون لبعض شئونهم ومهامِّهم[2] ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ أى فاسمح لمن أحببت بالانصراف إن كان فيه حكمة ومصلحة ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ أى وادع الله لهم بالعفو والمغفرة، فإن الاستئذان ولو لعذر قصور لأنه تقديم لأمر الدنيا الفانية على أمر الدين ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أى عظيم العفو واسع الرحمة.

المبحث الثالث

الاستغفار الثالث

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا

(١) حاشية راده على الصاوى: ٣/ ٤٤٠.

(٢) قال ابن عباس: ان عمر رضى الله عنه استأذن النبى ﷺ فى العُمرة فاذن له ثم قال: «يا أبا حفص لاتنسنا من صالح دعائك».

وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة: ١٢]

سبب النزول:

نزلت الآية فى بيعة النساء قال أبو حيان: كانت بيعة النساء فى ثانى يوم الفتح على جبل الصفا بعدما فرغ من بيعة الرجال، وكان رسول الله ﷺ على الصفا وعُمر أسفل منه، يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه، وما مسّت يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة أجنبية قط[١]. .

التفسير:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ أى إذا جاء إليك النساء المؤمنات للبيعة فبايعهن على هذه الأمور الستة الهامة، وأولها عدم الإشراك بالله جل وعلا ﴿وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ﴾ أى ولا يرتكبن جريمة السرقة ولا جريمة الزنى التى هى من أفحش الفواحش ﴿وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ أى ولا يئدن البنات كما كان يفعل أهل الجاهلية خوف العار أو خشية الفقر. قال ابن كثير: وهذا يشمل قتله بعد وجوده، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق أو العار، ويعم قتله وهو جنين كما يفعله بعض النساء الجاهلات تُطرح نفسها لئلا تحبل، إما لغرض فاسد أو ما أشبه[٢] ﴿وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أى لا تنسب إلى زوجها ولداً لقيطاً ليس منه تقول له: هذا ولدى منك. قال المفسِّرون: كانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لها لعدم الحمل، التقطت ولداً ونسبته لها ليبقِّيها عنده، فالمراد بالآية اللقيط، وليس المراد الزنى لتقدمه فى النهى صريحا[٣] قال ابن عباس: لا تلحق بزوجها ولداً ليس منه، وقال الفراء: كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدى منك،

(١) البحر المحيط : ٨/٢٥٨.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٨٩.

(٣) انظر حاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ٢٠٠)، وتفسير أبى السعود (٥/١٥٨)، وتفسير الرازى (٢٩/٣٠٨).

وإنما قال ﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها[١] ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أى ولا يخالفن أمرك فيما أمرتهن به من معروف[٢]، أو نهيتهن عنه من منكر، بل يسمعن ويطعن ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ أى فبايعهنّ يا محمد على ما تقدم من الشروط واطلب لهن من الله الصفح والغفران لما سلف من الذنوب ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أى واسع المغفرة عظيم الرحمة.

وقالت «أسماء بنت السكن» كنت فى النسوة المبايعات، فقلت يا رسول الله: ابسط يدك نبايعك، فقال لى ﷺ: «إنى لا أصافح النساء، ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن»، وكانت هند بنت عتبة – وهى التى شقت بطن حمزة بن عبد المطلب يوم أحد – متنكرة فى النساء، فلما قرأ عليهن الآية ﴿عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ﴾ قالت وهى متنكره[٣] يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح، وإنى لأصيب الهنة – أى الشىء القليل وبعض الشىء – من ماله، لا أدرى أيحل لى ذلك أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شىء فيما مضى أو فيما بقى فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟

قالت: نعم، واعف عما سلف يا رسول الله، فصرف عنها رسول الله ﷺ، فقال ﴿وَلا يَزْنِينَ﴾، قالت: أوتزنى الحُرّة؟ «قال: والله ما تزنى الحُرّة»، فلما قرأ ﴿وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ﴾ قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى، وتبسّم

---

(١) روح المعانى للألوسى : ٢٨/ ٨٠.

(٢) وقيل نهاهن عن النياحة واتباع الجنائز، وفى الصحيحين عن ابن مسعود «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية» وروى الحافظ أبو يعلى عن أبى موسى «أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لايتركونهن: الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم فى صحيحه منفرداً .

(٣) وهى عادة فيهم إلى اليوم فلا يصح أن يقال أنها تنكرت حتى لا يعرفها الرسول ﷺ كما قيل.

رسول الله ﷺ، فلما قرأ ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، قالت هند والله إن البهتان لأمر قبيح، ولا يأمر الله إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فلما قرأ ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شيء[1]. وأخرج الإمام أحمد عن «أميمة بنت رقيقه» - أخت السيدة خديجة وخالة فاطمة الزهراء رضى الله عنهن - قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما فى القرآن ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية وقال «فيما استطعتن وأطقتن» فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله: ألا تصافحنا؟

قال: «إنى لا أصافح النساء إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة»[2].

ويشاهد فى الاستغفار المحمدى لغيره أنه خاص بالمؤمنين حيث قال الله تعالى:

فى الآية الأولى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفى الآية الثانية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [النور: ٦٢].

وفى الآية الثالثة: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ...﴾ [الممتحنة: ١٢].

المبحث الرابع

استغفار الرسول ﷺ لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات (فى آية واحدة).

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾[محمد: ١٩].

سيقت هذه الآية بعد أن بيّن الله تعالى حال الكافرين والمنافقين، قال الإمام الفخر: لما بيّن تعالى أن المنافق يستمع ولا ينتفع، ويستعيد ولا يستفيد، بين أن

(١) تفسير البحر المحيط (٨/٢٥٨)، والتفسير الكبير للرازى (٢٩/٣٠٧).
(٢) أخرجه أحمد والترمذى والنسائى.

حال المؤمن المهتدى بخلافه، فإنه يستمع ويفهم ويعمل بما يعلم وفيه فائدة وهو قطع عُذر المنافق، فإنه لو قال: ما فهمت كلامه لغموضه، يرد عليه بأن المؤمن فهم واستنبط فذلك لعماء القلوب لا لخفاء المطلوب، ثم بيّن تعالى الساعة وأشراطها ومنها بعثة خاتم الرسل ﷺ فإذا جاءت الساعة بغته، وعلم ذلك عند الله وحده، وهم على غيّهم سادورن غافلون، فمن أين لهم التذكر حيث لا ينفع ندم ولا توبة؟!

ثم جاءت الآية الكريمة ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه آمراً بعلم ذلك، ولهذا عطف عليه بقوله عز وجل ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول «اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى، وما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى» وفى الصحيح أنه كان يقول فى آخر الصلاة «اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت إلهى لا إله إلا أنت» وفى الصحيح أنه قال «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنى استغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة»، وروى أبو يعلى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار وأكثروا منهما فإن إبليس قال إنما أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون» وفى الأثر المروى «قال إبليس: وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الله عز وجل: وعزتى وجلالى لا أزال اغفر لهم ما استغفرونى» والأحاديث فى فضل الاستغفار كثيرة جداً.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ أى قدم يا محمد على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أى اطلب من الله المغفرة لك وللمؤمنين والمؤمنات، روى الإمام أحمد عن عبد الله بن سرخس قال: أتيت رسول الله ﷺ وأكلت معه من طعامه، فقلت: غفر الله لك يا رسول

الله، فقال ﷺ «ولك» فقلت: استغفر لك؟ فقال رسول الله: «نعم ولكم»، وقرأ «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات»[1].

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ أى يعلم تصرفكم فى الدنيا، ومصيركم فى الآخرة، فأعدوا الزاد ليوم المعاد.

لماذا كان استغفاره صلى الله عليه وسلم؟

يحتمل هذا أحد وجوه ثلاثة :

١- أى استغفر لذنب أهل بيتك على تقدير مضاف محذوف.

٢- أو أن يكون استغفاره لتركه الأفضل والأولى، وهو كما قلنا حسنات الأبرار سيئات المقربين.

٣- أو يكون المراد من استغفاره ﷺ طلب دوام العصمة.

قالوا: وللنبى ﷺ ثلاثة أحوال:

أولها: حال مع الله وهو أن يكون لله موحداً.

ثانيها: حال مع نفسه بالاستغفار لذنبه وطلب العصمة.

ثالثها: حال مع غيره بطلب المغفرة من الله للمؤمنين والمؤمنات.

(١) ورواه مسلم والترمذى والنسائى.

الفصل الثامن

نهى الرسول ﷺ عن الاستغفار للكفار

استطراداً للأوامر الإلهية الصادرة إلى رسول الله ﷺ بالاستغفار لنفسه ولغيره وجب علينا أن نعرف متى لا يجوز له الاستغفار لغيره؟

بعد استقراء القرآن الكريم وجدنا أن الله تعالى قد نهى النبى ﷺ عن الاستغفار للمشركين فى أربعة مواضع، مرتان فى سورة التوبة . وواحدة فى سورة الفتح، والأخيرة فى سورة المنافقين.

المبحث الأول

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[التوبة: ١١٣].

سبب النزول:

«لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبى أمية، فقال: أى عم قل «لا إله إلا الله» كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وابن أبى أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: «لا إله إلا الله»، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.. ونزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] [القصص: ٥٦].

(١) أخرجه مسلم.

التفسير:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

أى لا ينبغى ولا يصح للنبى والمؤمنين أن يطلبوا من الله المغفرة للمشركين ﴿وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ أى ولو كان المشركون أقرباء لهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أى من بعد ما وضح لهم أنهم من أهل الجحيم لموتهم على الكفر، والآية نزلت فى أبى طالب؟

والسبب فى نهى الرسول ﷺ عن الاستغفار للمشركين: أدلة نقلية وعقلية.

أ - الأدلة النقلية:

١- قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

٢- قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[التوبة: ١١٣].

أ - الأدلة العقلية:

١- طلب الغفران للمشركين ومن هم على شاكلتهم جار مجرى طلب إن يخلف الله وعده ووعيده وهذا لايُعقل ولا يجوز.

٢- طلب الغفران للمشركين ومن هم على شاكلتهم من النبى ﷺ يوجب نقصان درجته ونزول مرتبته وهذا لا يجوز بل هو مستحيل.

٣- طلب الغفران للمشركين ومن هم على شاكلتهم من النبى ﷺ يوهم بعدم معرفته وحاشا لله ذلك بما يليق من السؤال فى جانب الله.

لم استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه ومُنع النبى ﷺ من ذلك؟

قال أبو حيان: لما كان استغفار إبراهيم لأبيه بصدد أن يقتدى به بيّن تعالى

العلة فى استغفار إبراهيم لأبيه، وهو الوعد الذى كان وعده له، فكان يرجو إيمانه، فلما تبين له من جهة الوحى انه عدو لله، وأنه يموت كافراً، وانقطع رجاؤه منه، تبرأ منه وقطع استغفاره[1].

المبحث الثانى

المرة الثانية فى قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠]

سبب النزول:

عن ابن عمر قال: لما توفى عبد الله بن أُبىّ جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فقام عمر فقال يا رسول الله: أعلى عدوا للّه تصلى؟ فقال: أخر عنى يا عمر أنى خيرّت فاخترت فقيل لى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية ولو أعلم أنى لو زدت على السبعين غُفر له لزدت، ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره فما كان إلا يسيراً حتى أنزل الله ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾[2] [التوبة: ٨٤].

التفسير:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أمر ومعناه الخبر أى سواء يا محمد استغفرت لهؤلاء المنافقين أم لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال البيضاوى: والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم والمراد

---

(١) البحر المحيط: ٥/ ١٠٥.

(٢) مختصر ابن كثير: ٢/ ١٦١.

به التكثير دون التحديد[1] والمعنى مهما أكثرت من الاستغفار لهم وبالغت فيه فلن يغفر الله لهم أبداً.

فكف الرسول ﷺ عن الاستغفار لهم.

المبحث الثالث

المرة الثالثة: قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[الفتح: ١١].

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: تخلف عن رسول الله ﷺ أعراب المدينة حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح، بعد أن كان استنفزهم معه حذراً من قريش، وأحرم بعمره وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه يريد حربا، فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل فنزلت ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ...﴾[2] [الفتح: ١١]

التفسير:

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ أى سيقول لك يا محمد المنافقون الذين تخلفوا عن الخروج معك عام الحديبية من أعراب المدينة ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أى شغلنا عن الخروج معك بالأموال والأولاد، فاطلب لنا من الله المغفرة، لأن تخلّفُنا لم يكن باختيارنا بل عن اضطرار قال فى التسهيل: سمّاهم تعالى بالمخلّفين لأنهم تخلّفوا عن غزوة الحديبية، والأعراب هم أهل البوادى من العرب - لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة يعتمر، رأوا أنه يستقبل عدواً كثيراً من قريش وغيرهم فقعدوا عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم متمكنا

(١) البيضاوى: ١/ ٤١٥.

(٢) تفسير القرطبى: ٢٦٨/١٦.

فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله فى هذه السورة وأعلم تعالى رسوله ﷺ بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون فى اعتذارهم[1] ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أى يقولون خلاف ما يبطنون وهذا هو النفاق المحض، فهم كاذبون فى الاعتذار وطلب الاستغفار لأنهم قالوه رياء من غير صدق ولا توبة ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أى قل لهم: من يمنعكم من مشيئة الله وقضائه، إن أراد أن يُلحق بكم أمراً يضركم كالهزيمة، أو أمراً ينفعكم كالنصر والغنيمة؟ قال القرطبى: وهذا رد عليهم حين ظنوا أن التخلف عن الرسول ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع[2] ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أى ليس الأمر كما زعمتم بل الله مطلع على ما فى قلوبكم من الكذب والنفاق، وإن سياق هذه الآيات فى مقام هؤلاء المتخلفين ليؤكد لنا بما لايدع مجالا للشك أن الله منع رسوله من الاستغفار لهؤلاء المنافقين.

لطيفة:

قال الإمام الفخر: وصف الله تعالى المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، وذكر بعده خمسة أمور يتميز بها المؤمن عن المنافق، فالمنافق يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، ولايقوم إلى الصلاة إلا بكسل، ويبخل بالزكاة وسائر الواجبات، وإذا أُمر بالمسارعة إلى الجهاد فإنه يتخلف ويثبط غيره، والمؤمن بالضد منه فإنه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويؤدى الصلاة على الوجه الأكمل، ويؤتى الزكاة ويسارع إلى طاعة الله ورسوله، ولهذا قابل تعالى بين صفات المؤمنين، وصفات المنافقين بقوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١] كما قابل فى الجزاء بين نار جهنم والجنة فكانت مقابلة لطيفة[3].

(١) التسهيل بعلوم التنزيل: ٤٠ / ٥٢.

(٢) تفسير القرطبى : ١٦/٢٦٩.

(٣) تفسير الرازى: ١٩/ ١٣٠ بتصرف.

المبحث الرابع

النهى الرابع: وهو الموّجه من الله تعالى لرسوله ﷺ بعدم الاستغفار للمنافقين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون: ٤-٦].

سبب النزول:

١- قال الكلبى لما نزل القرآن على الرسول ﷺ بصفة المنافقين مشى إليه عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم: ويلكم افتضحتم بالنفاق، وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم فأبوا وزهدوا فى الاستغفار فنزلت هذه الآية.

٢- قال ابن عباس لما رجع عبد الله بن أُبىّ بن سلول من أُحد بكثير من الناس مقته المسلمون وعنّفوه، وأسموه المكروه، فقال له بنو أبيه: لو أتيت رسول الله ﷺ حتى يستغفر لك ويرضى عنك فقال: لا أذهب إليه ولا أريد أن يستغفر لى، وجعل يلوى رأسه فنزلت هذه الآية.

٣- قال قتاده نزلت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وذلك لأنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ خيرنى ربى فلأزيدنهم على السبعين، فأنزل الله ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

٤- وعند أكثر أهل التفسير قالوا: إنما دُعى عبد الله بن أبى إلى الاستغفار لأنه قال «ليخرجن الأعزّ منها الأزل» وقال «لاتنفقوا على من عند

رسول الله حتى ينفضوا» فقيل له تعالى يستغفر لك رسول الله فقال: ماذا قلت، فذلك قوله تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾.

التفسير:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أى وإذا رأيت هؤلاء المنافقين أعجبتك هيئاتهم ومناظرهم، لحسنها ونضارتها وضخامتها ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ أى وإن يتكلموا تسمع لكلامهم لفصاحتهم وذلاقة لسانهم قال ابن عباس: كان ابن سلول - رأس المنافقين - جسيما فصيحا، ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبى ﷺ قوله، وكذلك كان أصحابه إذا أحضروا مجلس النبى ﷺ يعجب الناس بهياكلهم[1] ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ أى يشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط، فى كونهم صوراً خالية عن العلم والنظر، فهم أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام قال أبو حيان: شبهوا بالخشب لعزوب أفهامهم، وفراغ قلوبهم من الإيمان، والجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخور[2] ولهذا قال ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أى يظنون لجبنهم وهلعهم - كل نداء وكل صوت، أنهم يرادون بذلك، فهم دائما فى خوف ووجل من أن يهتك الله أستارهم، ويكشف أسرارهم، قال ابن كثير: كلما وقع أمر أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم[3] وقال مقاتل: إذا سمعوا نشدان ضالة، أو صياحا بأى وجه كان، طارت عقولهم، وظنوا ذلك إيقاعا بهم[4] ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ أى هم الأعداء الكاملون فى العدواة لك وللمؤمنين وإن أظهروا الإسلام، فاحذرهم ولا تأمنهم على سر فإنهم عيون لأعدائك ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ جملة دعائية أى أخزاهم الله ولعنهم، وأبعدهم عن رحمته ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أى كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال؟ وكيف تضل عقولهم مع وضوح الدلائل والبراهين؟! وفيه تعجب من

(١) حاشية الصاوى : ٤/٢٠٨.

(٢) البحر المحيط : ٨/ ٢٧٢.

(٣) مختصر ابن كثير : ٣/ ٥٠٤.

(٤) تفسير الألوسى : ٢٨ / ١١١.

جهلهم وضلالهم، وانصرافهم عن الإيمان بعد قيام البرهان، وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن للمنافقين علامات يعُرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبُرا، مستكبرين لا يألفون ولا يُؤلفون، خُشُب الليل، صخب بالنهار[1] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أى وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: هلموا إلى رسول الله ﷺ حتى يطلب لكم المغفرة من الله ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أى حرّكوها وهزوها استهزاءً واستكباراً ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أى وتراهم يعرضون عما دعوا إليه متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم، وجيء بصيغة المضارع ليدل على استمرارهم على الإعراض والعناد[2] قال المفسِّرون: لما نزلت الآيات تفضح المنافقين وتكشف الأستار، عنهم مشى إليهم أقرباؤهم من المؤمنين وقالوا لهم: ويلكم لقد افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم، فأتوا رسول الله ﷺ وتوبوا إليه من النفاق، واسألوه يستغفر لكم، فأبوا وحرّكوا رءوسهم سخرية واستهزاء، فنزلت الآية. ثم جاءوا إلى «ابن سلول» وقالوا له: امض إلى رسول الله ﷺ واعترف بذنبك يستغفر لك، فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأى، ثم قال لهم: لقد أشرتم عَلىّ بالإيمان فآمنت وأشرتم علىّ بأن أعطى زكاة مالى ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمرونى بالسجود لمحمد! ثم بيّن الله تعالى فائدة عدم الاستغفار لهم، لأنهم مردوا على النفاق فقال ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أى يتساوى الأمر بالنسبة لهم، فإنه لا ينفع استغفارك لهم شيئا، لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله. قال الصاوى: والآية للتيئيس من إيمانهم أى أن استغفارك يا محمد وعدمه سواء، فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم[3] ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أى لن

(١) أخرجه أحمد كذا فى ابن كثير : ٣/ ٥٠٤.

(٢) تفسير البحر المحيط : ٨/ ٢٧٣.

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين: ٤/ ٢٩.

يصفح الله عنهم لرسوخهم فى الكفر، وإصرارهم على العصيان، ثم علله بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أى لا يوفق للإيمان، من كان فاسقا خارجا عن طاعة الرحمن.

يتضح مما سبق أن الله تعالى لا يقبل الاستغفار للمشركين ولا للكافرين ولا للمنافقين، حتى ولو كان الاستغفار صادرا عن أفضل الأنبياء والمرسلين، وحتى لو كان المستغفر له قريبا لرسول الله، وكذا الشأن حتى لو تكرر الاستغفار وبولغ فيه وفى عدده، لأن الآيتين ذُيّلتا بعبارة واحدة تفيد أن الله لا يقبل لهم استغفاراً لانهم قوم فاسقون.

فآية التوبة ذيلت بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وآية المنافقون ذيلت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

وهنا نأتى إلى مسك الختام بعد أن انتهينا من أدعية المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وامتداداً لهذا المقام نقول:

* نهى الله رسوله محمد ﷺ عن استعجال العذاب لقومه فى مثل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

* التوجيه الربانى للرسول محمد ﷺ بالاستغفار لمن ظلم نفسه فى مثل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]

* توبه الرسول محمد ﷺ وبعض الصحابة فى مثل قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ....﴾ [التوبة: ١١٧].

* تخويف الرسول محمد قومه بنزول ما استعجلوه من العذاب فى مثل قوله: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢].

* دعاء ختمى للرسول ﷺ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ ...﴾ [القصص: ٨٦].

الفصل التاسع

دروس وعبر فى أدعية محمد ﷺ خاتم الأنبياء

بعد هذه الجولة التى طفنا فيها بين آيات الدعاء المحمدى الواردة فى القرآن الكريم يمكن لنا استنتاج ما يلى:

١- قلّة عدد هذه الآيات خصوصا إذا قورنت بأدعية النبى ﷺ الواردة عنه فى كتب الأحاديث الصحاح.

٢- معظم هذه الأيات مكّى إلا القليل منها كقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ...﴾ [الإسراء: ٨٠]. . حتى قيل بمكيتها.

٣- أكثر هذه الآيات صدر بلفظ «قل» وهذا يدل على أن الله تعالى اختار لنبيه ﷺ أحسن الأدعية.

٤- معظم هذه الأدعية صُدِّر بلفظ الرب أو أدرج فيه وفى هذا اللفظ من الدلالة على الربوبية والتربية والكفالة الكاملة.

٥- كل هذه الآيات جاءت بلفظ الأمر الدال على ضرورة التلبية ووجوبها.

٦- استهدفت هذه الأدعية سعادة الدنيا والآخرة.

٧- لم تشر هذه الأدعية إلى رسالة المصطفى ﷺ ولا إلى كتابه القرآن إلا مرة واحدة فى قوله تعالى من سورة الفرقان ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠].

٨- هذه الأدعية مع قِلّتها فهى أكثر الأدعية الواردة فى القرآن الكريم على لسان الرسول ﷺ.

٩- هذه الآيات تشريف لرسول الله ﷺ وإظهار لمكانته بين خلقه حيث لم يكله

إلى نفسه فى مناجاته تعالى ودعائه، بل حدّد له الألفاظ والأهداف ثم استجاب له على خلاف ما كان عليه إخوانه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكانت أدعيتهم صادرة منهم دون نص عليها لهم من الله تعالى. .

١٠- وقد استجاب الله كل هذه الأدعية لرسوله ﷺ ولم يتخلف منها دعاء.

١١- كما أن فى هذه الآيات تعليما للرسول ﷺ وتعليما لسائر المؤمنين بتخير الألفاظ المنتقاة والأهداف التى ينبغى على المؤمن أن يتوخاها فى دعائه.

١٢- كذلك تعلمنا هذه الآيات الالتجاء إلى الله تعالى والاستعاذة به من كل ما يعكر صفو الحياة.

١٣- ترشدنا هذه الأدعية إلى الإلحاح فى طلب المزيد من الخير خصوصا ما كان مصدرا له وهو العلم مهما كانت مرتبة الداعى ومكانته العلمية.

١٤- توجهِّنا هذه الأدعية إلى السعى المتواصل فى كل ما يجلب للمجتمع السعادة والرفاهية عن طريق الصفح والعفو والمغفرة.

١٥- كما أنها تدفعنا إلى بذل الجهد لإظهار الحق حتى يهتدى من أراد الله تعالى له الاهتداء. .

١٦- كذلك تبين لنا ضرورة المضى فى التحلِّى بالقوة المنطقية والجسمية والمادية لنصرة الحق والفضيلة.

١٧- هذه الأدعية توجه المؤمن إلى طلب السلامة وطلب الرضى من الله تعالى فى كل ما يُقبل عليه العبد من قول أو فعل. .

١٨- كما أنها تجيز رجاء إنزال ما وعد الله تعالى به من العذاب بالمشركين والكافرين والعصاة تأديبا لهم وزجرا لغيرهم.

١٩- يُلاحظ فى هذه الأدعية وما ورد فيها أن الاستغفار الذى أمر به الرسول ﷺ إما لنفسه أو للمؤمنين، أما الكافرون فلا. . .

٢٠- يلاحظ المدقق فى هذه الأدعية وما ورد فيها من الاستعاذة أن الدعاء كان من الوظائف الخاصة لرسول الله ﷺ.. يدعم هذا القول ذكر لفظ «رب» وإضافته إلى ضمير الرسول ﷺ ، أما الاستعاذة فقد أضيف لفظ «رب» فيها إلى ضمير الجماعة وهذا يدل على أن الدعاء خاص بالرسول ﷺ وأن الاستعاذة عامة للجميع.. غير أنه ينبغى أن يُفهم أن خصوصية الدعاء للرسول المصطفى ﷺ لا تمنع الغير من مزاولته، وإنما القصد من هذه الخصوصية كون الدعاء من وظائف المصطفى ﷺ لأن الكلام المشتمل على الدعاء والخالى من الاستعاذة أرقى من الاستعاذة بمفردها لما فى هذه الاستعاذة من الفوائد العائدة على المستعيذ.. ولهذا جاءت أدعية المصطفى ﷺ متضمنة توحيد ربه والإيمان بقرآنه والاعتراف برسالته وكل ذلك راجع لغير الداعى.. أما ورود الاستعاذة فى أدعية المصطفى ﷺ فهو قليل جدا وكذلك ورود استغفاره لنفسه وللمؤمنين.

خاتمة الكتاب

الحمد لله على نعم اللَّه، الحمد لله على فضل اللَّه وإحسانه، والحمد لله على طاعته وغفرانه، الحمد لله على جلال اللَّه وقدرته وعظمته، الحمد للَّه الذى هدانا للإسلام، وأكرمنا بمحمد ﷺ أكمل المرسلين، وسيد الأولين والآخرين.

اللهم إنك أنت القائل وقولك الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] وصلاتك يا رب على نبيك نعمة ورحمة، وصلاة ملائكتك لنبيك استغفار، وصلاتنا دعاء ورجاء، فندعوك يا ربنا ونرجوك وأنت أهل الرجا أن تصلى وتسلم على نبيك وحبيبك وخليلك محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صلِ على سيدنا محمد أفضل ما صليت على أحد من خلقك واجزه عنا خير ما جزيت نبيا عن أمته، اللهم زكنا بالصلاة عليه وأحشرنا فى زمرته، وأوردنا حوضه.

اللهم صلِ على محمد عبدك ورسولك النبى الأُمىّ وعلى آل محمد، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضاً وله جزاء ولحقه أداء وأعَطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذى وعدته، إنك لا تخلف الميعاد، اللهم أجز نبينا عنا بما هو أهله وأجزه أفضل ما جزيت نبياً عن قومه، ورسولاً عن أمته، وصل يا ربنا على جميع أخوانه من النبيين والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل فضائل صلواتك، ونوامى بركاتك، وعواطف رأفتك وتحيتك وفضائل آلائك على محمد سيد المرسلين. وقائد الغر المحجلين إلى الجنة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً تزيد به قربه، وتقربه عينه، يغبطه به الأولون والآخرون.

اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والمنزلة الرفيعة، اللهم بلغه مأملوة واجعله أول شافع وأول مشفع، اللهم أحينا على سنته، وتوفنا على ملته، واجعلنا من أهل شفاعته، واحشرنا فى زمرته، وأوردنا حوضه، وأسقنا من كأسه غير خزايا ولا نادمين، ولا شاكين ولا مبدلين، ولا مغيرين، ولا فاتنين ولا مفتونين.

اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد سيد الأبرار، وزين المرسلين الأخيار وأكبر من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، صلاة دائمة أبداً بدوام ملك الله الواحد القهار باقية ببقاء عرش الله وعظمة الله لا منتهى لها دون علم الله، إنك يا ربنا على كل شئ قدير، وبالإجابة جدير.

اللهم صلِ على محمد كما أمرتنا أن نصلى عليه، وصل على محمد كما ينبغى أن يصلى عليه، اللهم صلِ على محمد نبيك المصطفى ورسولك المرتضى، ووليك المجتبى، وأمينك على وحى السماء، اللهم صلِ على سيدنا محمد عدد ما فى علم الله صلاة دائمة أبداً بدوام ملك الله، اللهم صلِ وسلم عليه عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك، ومداد كلماتك.

اللهم صلِ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وأتباعه عدد مخلوقات الله.

اللهم اجعلنا بالصلاة عليه من الفائزين، وعلى حوضه من الواردين والشاربين، وبسنته من العاملين ولا تحل بيننا وبينه يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم احينا لشريعته وأمتنا على دينه واحشرنا فى زمرته. والحمد لله رب العالمين.

دعاء ختم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

صدق الله العظيم الذى لا إله إلا هو المُتَوَحِّد فى الجلال بكَمَال الجَمَال تعْظيماً وتكْبيراً، المُنْفرد بتصريف الأحْوَال على التَّفصيلِ والإجمال تقديراً وتدبيراً، المتْعَالى بعظمته ومجده الذى نَزّل الفرقان على عبده. ليكون للعالمين نذيراً، وصدق رسوله ﷺ تسليماً كثيراً، الذى أرسله إلى جميع الثَّقَلَين الجن والإنس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وَسِرَاجاً مُنيراً. اللهُمَّ لك الحمدُ على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة، وآلائك الجسيمة حيث أنزلت علينا خير كُتُبِكَ، وأرسلت إلينا أفضل رُسُلِكَ، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك وجعلتنا من خير أمة أُخرجت للنَّاس، وهَديتنا لمعالم دينك الذى ارتضيته لنفسك وبنيته على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمَّداً رسول اللَّه، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجِّ بيت الله الحرام، ولك الحمدُ على ما يسَّرته من صيام شهر رمضان وقيامه وتلاوة كتابك العزيز الذى ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢] اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمد كما صلّيت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد وبارك على مُحمَّدٍ وعلى آل مُحمَّد كما باركت على إبراهيم إنَّك حميد مجيد. اللهم إنَّا عبيدُك بنو إمائك نوَاصينا بيدك ماضٍ فينا حكمك عدلٌ فينا قضاؤُك، نسألك اللّهُمّ بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسكَ أو أنزلته فى كتابك أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قُلوبُنَا ونُورَ صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب هُمُومنَا وغُمُومنا. اللّهُمّ ذكّرنا منه ما نسينا وعلّمنا منْهُ ما جَهلْنَا، وارزقنا تلاَوتهُ آناء اللَّيل وأطراف النَّهار على الوجه الذى يُرضيك عَنَّا، اللَّهُمَّ اجعلنا ممَنَّ يُحلُّ حلاله ويحرِّم حرامه ويعمل بمُحكمه ويؤمن بمُتشابهه ويتلوه حقَّ تلاوته، اللَهمَّ اجعلنا ممَنَّ يُقيم حدوده ولا تجعلنا ممنَّ يُقيم حروفه ويُضيِّع حدوده، اللَّهُمَّ اجعلنا مَّمن اتّبع القرآن فقاده إلى رضوانك والجنّة، ولا تجعلنا ممن اتّبع القرآن فزجَّ فى قَفَاهُ إلى

النّار، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصّتك يا أرحم الرّاحمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألّف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوّك وعدوّهم، واهدهم سبل السّلام، وأخرجهم من الظّلمات إلى النّور وبارك لهم فى أسماعهم وأبصارهم وذرّياتهم وأزواجهم أبداً ما أبقيتهم واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابليها، وأتمها عليهم برحمتك يا أرحم الرّاحمين.

اللهمّ اغفر لجميع موتى المؤمنين الذين شهدوا لكّ بالواحدانيّة، ولنبيّك بالرّسالة وماتوا على ذلك، اللّهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسّع مدخلهم وأغسلهم بالماء والثلج والبرد، ونقّهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثّوب الأبيض من الدنس ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠] اللّهمّ إنا نسألك من الخير كله عاجّله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وعبادك الصّالحون ونعوذ بك من شرّ ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وعبادك الصّالحون، اللهم إنّا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قول وعمل، ونسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار، اللّهمّ لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرّجته ولا دينا إلا قضيته ولا مريضاً إلا شفيته وعافيته ولا حاجة هى لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الرّاحمين ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. ربّنا لا تُزغ قُلُوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ربّنا آتنا فى الدُّنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربّك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد الله ربّ العالمين. وصلّى الله على خير خلقه محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه...

مراجع الكتاب

القرآن الكريم وتفسيره:

١ - **القرآن الكريم :** ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ .

٢ - **تفسير القرآن العظيم: للإمام الجليل الحافظ عماد الدين:** إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٤٤هـ - ط . الحلبى - القاهرة.

٣ - **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التنزيل،** تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧-٥٣٨هـ) ط. الحلبى ١٣٥٤هـ - القاهرة.

٤ - **مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير،** للإمام أبى الفضل محمد فخر الدين ابن عمر بن الحسن الرازى - الطبعة الأولى - مصر.

٥ - **تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:** لأبى السعود محمد بن محمد العمادى (٨٩٦-٩٥١ هـ) ط. صبيح - القاهرة.

٦ - **تفسير الطبرى (جامع البيان فى تفسير القرآن):** تأليف ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ (١-١٦) تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١-٣ القاهرة.

٧ - **الجامع لأحكام القرآن الكريم:** تأليف أبى عبد الله شمس الدين بن محمد ابن أحمد بن بكر بن فرج الأنصارى القرطبى - دار القلم ١٩٦٦ - القاهرة.

٨ - **التسهيل لعلوم التنزيل:** للحافظ المفسِّر محمد بن أحمد بن جزى الكلبى - ط. الحلبى سنة ١٣٥٥ هـ - القاهرة.

٩ - **تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل:** للإمام العلامة قدوة الأمة وعلم الأئمة علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن وحُلىّ هامشه بالتفسير المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى رحمهم الله - ط. دار الكتب العربية الكبرى - القاهرة.

١٠- **تفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى.** محمد حسن الحمصى - دار الرشيد - بيروت.

١١- **صفوة التفاسير:** الأستاذ محمود على الصابونى - دار الرشيد - حلب - سوريا.

١٢- **تفسير الشهاب.**

١٣- **التفسير القيّم للإمام ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١هـ):** جمعه محمد أويس الندوى - حققه محمد حامد الفقى - ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٤- **مختصر ابن كثير:** للأستاذ محمد على الصابونى.

١٥- **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى:** لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ - الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١ هـ.

١٦- **تفسير البغوى.**

١٧- **تفسير البحر المحيط.**

١٨- **حاشية زاده على الصاوى.**

١٩- **حاشية الصاوى على الجلالين.**

السُّنة وشروحها:

١ - **صحيح البخارى بشرح الكرمانى:** للإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤-٢٥٦ هـ) المطبعة المصرية سنة ١٣٥٣ هـ.

٢ - **فتح البارى بشرح صحيح البخارى:** لابن حجر العسقلانى: أبو الفضل أحمد على الكتانى المصرى المتوفى سنة ٨٥٢هـ - المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٨ هـ.

٣ - **صحيح الجامع الصغير وزيادته :** الألبانى - بيروت.

٤ - **الجامع الكبير:** للإمام جلال الدين السيوطى.

٥ - **سنن النسائى:** ط. الحلبى - سنة ١٣٨٣ هـ.

٦ - **سنن الترمذى:** (أبو عيسى) ط . الحلبى.

٧ - **الأذكار من كلام سيد الأبرار:** للنووى - المكتبة العصرية - بيروت.

٨ - **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين :** للشوكانى - مكتبة المتنبى.

٩ - **شرح السُّنة للبغوى.**

١٠- **صحيح مسلم بشرح النووى:** الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) ط. دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٤هـ.

١١ - **مفتاح كنوز السُّنة:** ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى - مطبعة مصر.

١٢- **السنن الكبرى للبيهقى:** الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٥٨هـ - ط . الهند سنة ١٣٤٤ هـ.

١٣ - **المسند:** لأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) المطبعة الميمنية سنة ١٣١٣هـ، ومطبعة المعارف سنة ١٣٦٥هـ - تحقيق أحمد محمد شاكر (١٣٠٩ - ١٣٧٧هـ).

١٤- **المستدرك للحاكم :** أبى عبد الله محمد النيسابورى - طبعة الرياض - ط. الهند - سنة ١٣٣٥هـ.

١٥- **سلسلة الأحاديث الصحيحة :** الألبانى - المكتب الإسلامى.

السيرة والتراجم:

١ - **الطبقات الكبرى:** لابن سعد كاتب الواقدى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ- ط. المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٣ هـ.

٢ - **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** لأبى نعيم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ - مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ.

٣ - **البداية والنهاية:** لابن كثير - ط. القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٨ هـ.

٤ - **السّيرة النبوية:** لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ- تحقيق عمر عبدالسلام تدمرى - ط. دار الريان للتراث - القاهرة.

٥ - **تراجم سيدات بيت النبوة:** د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ط. دار الريان للتراث - القاهرة.

٦ - **هذا الحبيب يا محب :** أبو بكر جابر الجزائرى.

٧ - **محمد المثل الكامل:** محمد أحمد جاد المولى - ط. الاستقامة - القاهرة.

٨ - **حياة محمد:** دكتور محمد حسين هيكل - مكتبة الأسرة.

٩ - **نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز:** الأستاذ رفاعه رافع الطهطاوى - تحقيق الأستاذان عبد الرحمن حسن محمود وفاروق حامد بدر - ط. مكتبة الآداب - القاهرة.

١٠- **محمد رسول الله الأمى الذى علمه ربه:** عطية عبد الرحمن عطية - المكتبة السلفية - القاهرة.

١١- **محمد ﷺ أريج من سيرته وقبس من شريعته:** فضيلة الشيخ محمد محمد الدهان - ط. الشعب - القاهرة.

١٢- **المصطفون الأخيار:** فضيلة الشيخ عطية صقر - ط. مؤسسة الصباح - القاهرة.

١٣- **الأديان والإنسان منذ مهبط أدم عليه السلام:** أ. خليل طاهر - تقديم الإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود - ط. دار مأمون - القاهرة.

١٤- **شذرات من معجزات وخصائص الرسول ﷺ:** فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف - ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

١٥- **الأبطال:** توماس كارلايل ترجمة الأستاذ محمد السباعى - ط. مؤسسة الهلال - القاهرة.

١٦ - **دراسات قرآنية (من أسرار النبوات فى القرآن):** للأستاذ حسين إسماعيل منصور - ط مجمع البحوث الإسلامية - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م - القاهرة.

١٧ - **الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل:** تأليف الدكتور محمد وصفى - ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٨- **مع الأنبياء فى القرآن الكريم:** عفيف عبد الفتاح طبارة - دار العلم للملايين - بيروت.

١٩- **عبقرية محمد:** الأستاذ عباس محمود العقاد - ط. نهضة مصر - القاهرة.

٢٠- **تاريخ الإسلام السياسى:** د. حسن إبراهيم حسن - مطبعة حجازى ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م.

٢١- **عيون الأثر.**

٢٢- **زاد المعاد.**

٢٣- **الروض الأنف:** للسهيلى.

٢٤- **الكامل:** لابن الأثير.

٢٥- **سيرة محمد ﷺ:** لمولانا محمد على الهندى.

٢٦- **فجر الإسلام:** تأليف الأستاذ أحمد أمين - ط . مكتبة الأسرة.

٢٧- **تاريخ الأمم والملوك:** للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى.

٢٨- **المغازى:** للواقدى.

٢٩- **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله من القسوة:** تأليف السيد محمد صديق خان بهادر ملك مملكة بهوبال (طبع فى مطبعة الجوائب قسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ.

مراجع عامة:

١ - **دعوة الحق أو تحت ظلال الإسلام:** د. يوسف عبد الرازق - ط. مؤسسة نصار - القاهرة.

٢ - **من الإسلام:** الشيخ سيد سابق - ط. مكتبة وهبة - القاهرة.

٣ - **الطب النبوى:** لابن القيم - ط. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

٤ - **طريق الهداية فى درء مخاطر الجن والشياطين:** عبد العزيز القحطانى - ط. مكتبة أبو بكر الصديق - الأسكندرية مصر.

٥ - **أم القرآن وخير ثلاث سور أنزلت:** محمد محمود الصواف - دار الفضيلة- القاهرة.

٦ - **دعاء السَّحر:** محمد محمود الصواف - دار الاعتصام - القاهرة.

٧ - **القرآن - أنواره - آثار أوصاف فضائله - خصائص تفسيره - ختمه :** محمد محمود الصواف - ط. مؤسسة الرسالة - القاهرة.

٨ - **اقتباس من نور الحق:** فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطبرى - ط مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة.

٩ - الشفا للقاضى عياض (نسخة خطية بمكتبة جعفر ولى).

١٠- **الاصنام لابن الكلبى:** (مطبعة دار الكتب المصرية).

١١- **القرى لقاصد أم القرى:** محب الدين الطبرى المكى.

١٢- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:** الأستاذ أبو الحسن الندوى.

١٣- **نور الله :** الأستاذ محمد صبيح - ط. الجمعية التعاونية القاهرة.

١٤- دائرة المعارف الإسلامية.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

تابع الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع
٩٩ / ١١٠٨٥
I.S.B.N
977 - 294 - 154 - 6

مطابع آمـــون
٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى – القاهرة
تليفون : ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦